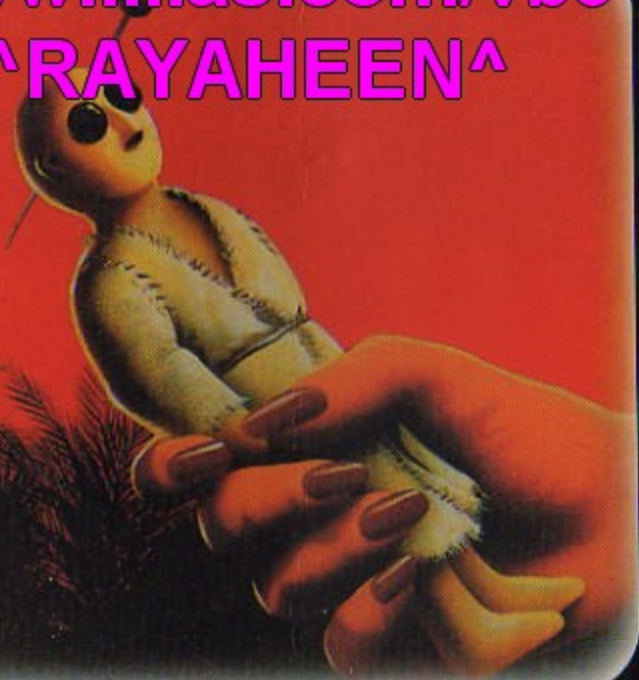


أرسين لويين

الجرائم الثلاثة

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس، وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

المحتال الكبير

لم يكن المستر ألفريد تيلسون سوى واحد من عديد من الرجال الذين يحدوهم الأمل في أن تتيح لهم الأقدار يوما ما مقابلة أرسين لوبين مرة أخرى . في ليلة حالكة الظلام . بجوار احد الأنهار . وأن يكون معهم حينئذ انتقال من الرصاص !!

ومع ذلك فإن مثل هذه الرغبة لم تتحقق قط لأحد من هؤلاء الرجال لسبب حين هو أن مياه الأنهار وأثقال الرصاص لم تكن تدخل قط في خطط أرسين لوبين المتعلقة بمستقبله . أما في الليالي المظلمة فإنه كان يسير فيها حذرا يحكم ما اعتاد عليه .

ولكن المستر ألفريد تيلسون - الذي كان يعرف في الأوساط التي يتعامل فيها باسم "برودز" - كان احد الرجال القلائل الذين اتاحت لهم الأقدار ان يتقابلوا مع "أرسين لوبين" للمرة الثانية . ولو أن تلك المقابلة لم تتم إطلاقا على النحو الذي كان يشده المستر تيلسون ويرسم له الخطط .

* * *

كان المستر ألفريد تيلسون رجلا نحيفا . أشيب الشعر . ملامح وجهه تقرب من ملامح وجه الجواد . ومظهره العام يوحي بأنه رجل دين متقاعد .

وهذا المظهر قد اكتسبه وتقمصه مختارا حتى يكون عوناً له في أعماله . واستمر متقمصاً ذلك المظهر مدة طويلة حتى أصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته بحيث لو أراد التنصل عنه لما أمكنه ذلك . مثله في ذلك مثل الرداء ذي الطابع الديني الذي اشتهر به حتى أسهم في

نجاحه عمليا على مر الأعوام والسنين .

وقد عرف عن المستر "برونز" أنه من أعظم اللاعبين الأحياء الذين يتحكمون في ورق اللعب في العالم كله . . . ويكفي المرء أن يرى أصابعه الطويلة (تفنت) أوراق اللعب ثم تقوم بتوزيعها وهي تعرف أين تهبط كل ورقة منها وكانها تقوم بعمل خانات حسابية مرسومة بدقة . . . وتتخذ حسب خطة مدروسة . . . فقد كان في إمكانه عمل أي شيء بمجموعة من أوراق اللعب . . . فيما عدا أن يجعلها تتكلم . . . إذ كان يمكنه أن يقوم بتفنيطها مرة واحدة وكانه لا يراها . . . في تلك الأثناء يمكنه أن يميز المجموعة ورقة ورقة . . . ثم يرتبها حسب ما يريد ويرغب . . . ثم يجمعها مرة أخرى في حركة سريعة لا يتأتى للعين متابعتها .

وإذا كنت من الذين يحترفون اللعب . . . وكنت من الأشخاص المعروفين في هذا المضمار . . . ثم امكنك بعد ذلك إقناعه بأن يقدم لك عرضا لأعماله السحرية . . . فإنه سيدعوك إلى أن تقوم بتوزيع الأوراق على أربعة أفراد يشتركون في لعبة البريدج . . . ثم يطلب منك أن تكتب بيانا عن الأوراق التي لدى كل لاعب . . . ثم يسالك أن تفنت الأوراق كما تهوى وتشاء . . . وبعد ذلك تعطيه مجموعة الأوراق

وبعدما يأخذ مجموعة الأوراق منك ستجد أنه يلقي نظرة واحدة على القائمة التي أعدتها . . . ثم يقوم هو بنفسه بتفنيط الورق مرة واحدة . . . ثم يبدأ في توزيع الأوراق على اللاعبين الأربعة مرة أخرى كما سجلتها أنت في القائمة تماما .

أما إذا كنت سببي الحظ وقمت بملابته . . . فلي وسعك أن تطلب مجموعات جديدة من أوراق اللعب كما تريد . . . مادمت قادرا على دفع ثمنها دون أن تسبب له أي ضيق على الإطلاق . . . إذ من المعروف عن المستر "الفريد تيلسون" أنه لم يقم قط بوضع أية علامة على ورق لعب

طيلة حياته . . . وفي نفس الوقت يمكنه أن يلعب بنجاح أية لعبة من ألعاب الورق .

ولو كان مستر "الفريد تيلسون" قد أتجه نحو عرض براعته على خشبة المسرح لكان من المحتمل أن ينهيها له دخل مريح جدا . . . ولكن ميوله وذوقه لم تقده إطلاقا نحو ذلك السبيل . . . لأنه كان شغوفا بالرحلات ونسيم البحر . . . حتى أنه أمضى سنوات عدة في رحلات بحرية عبر المحيطين الهادي والاطلسي . . .

محققا لنفسه في كل رحلة منها أرباحا مجزية ومخلقا دائما وراءه ضحايا يعلنون أنفسهم بفكرة يصبرون بها أنفسهم ألا وهي أنهم قد تخنّبوا - على الأقل - الوقوع بين براثن المحتالين وأنهم فقدوا أموالهم في لعب الورق مع شخص أمين . . .

ومن المحتمل أنه كان قادرا على التقاعد منذ أمد طويل لو لم يكن مصابا بنقطة ضعف تتمثل في قضاء الوقت بين الرحلات البحرية في أعمال بعيدة كل البعد عن الدين .

والواقع أن نقطة الضعف هذه هي التي تسببت في مقابلته الأولى مع "آرلين لوبين" .

* * *

كان قد انتهى من عملية مريحة جدا في رحلة قام بها إلى جزر ماديرا . . . ولكنه عند عودته بطريق البر من لشبونة قابل شقراء فاتنة عطلته فترة طويلة في باريس .

وفي صباح أحد الأيام استيقظ فوجد أن ما يملكه من نقود ينقص بمقدار عشرين جنيهها عن أجر الرحلة إلى نيويورك . . . ولذا أتجه نحو لندن وفكرة الحاجة القصوى إلى رأس مال متسلطة على ذهنه .

وكان من سوء حظه أن الشاب الأنيق الذي وجده يتسكع إلى جوار حاجز السفينة التي عبر عليها قناة المانش بعد مغادرتها بولونيا لم

يكن سوى "أرسين لوبين".

ولم يكن "أرسين لوبين" يبحث عن المتاعب في هذه الرحلة . ولكنه لم يكن يرفض قط أن تدفع له مصاريف رحلته . . . ولذا فإنه عندما قام المستر "تيلسون" بالتلميح إلى أنه من الصعوبة بمكان العثور على طريقة يتم بها قضاء الوقت في رحلات عبور قناة المانش أدرك "أرسين لوبين" فورا ما عليه أن يتوقعه ولذا فقد لعبا إحدى ألعاب الورق المسماة الكازينو . وفي نصف الساعة الأولى ربح لوبين خمسة عشر جنيتها .

وهنا أبدى المستر "تيلسون" ملاحظة تنم عن العطف وهو يفتنط ورق اللعب ويطلب كأسين آخرين من الشراب . إذ قال :

- ألا تظن أن اللعب بطيء نوعا ما ؟ . . . هل يمكننا مضاعفة الرهان ؟
وكان هذا ما ينتظره "لوبين" . . . وكانت ملكة الانتظار هذه . حتى حلول اللحظة السيكلوجية الملائمة . هي التي يقوم بالاستعانة بها دائما في مثل هذه المناسبات . فقد كان مبلغ الخمسة عشر جنيتها بمثابة سمكة صغيرة في الشباك التي القاها . فتمتم قائلا :

- بالتأكيد يا أضي . . . ولك أن تضاعفها ثلاث مرات إذا أحببت .
وساعدو إليك بعد ثانية . إذ علي أن أرى رجلا في أمر مهم .

واختفى بعد ذلك في مكان مناسب له . وكان ذلك آخر عهد المستر "تيلسون" برؤيته . . . ومن هنا نرى أن تلك الحادثة تعد من أكثر التجارب التي مرت بالمستر "تيلسون" وسببت له حزنا . حتى أنه بعد انقضاء ثلاث سنوات على وقوعها كانت لا تزال حية في ذاكرته . . . وكأنها قد حدثت بالأمس القريب .

* * *

وعندما علم "فرد جورمان" أن "برودز تيلسون" موجود في لندن . قام بزيارته في يوم الذكرى السنوية الثالثة لتلك الحادثة . . . ومن ثم

اضطر إلى الاستماع إلى أحداث تلك القصة . وذلك بحكم أنه كان قد اشترك مع "تيلسون" في عملية ما منذ عدة أعوام مضت . . . ويعد ذلك سار كل في طريق يختلف عن طريق الآخر .
ولم يشأ "فرد" أن تمر قصة "تيلسون" دون أن يقص هو الآخر قصة مشابهة . ولذا قال :

- إن قصتك هذه تذكرني برجل قابلته في ربيع هذا العام . . . قابلته في الكسندرا . وكان ظاهرا عليه الاهتمام بجياد السباق . وكان يتسم بمسحة من البراعة . . . وعندما ذكرت له المهمة الخاصة التي كلفت بها بخصوص نيوماركت في عصر ذلك اليوم .

وكانت تلك القصة من قصص "فرد" المفضلة . وبعد أن انتهى من سردها بدأ في تناول الموضوع الأساسي الذي دفعه إلى زيارة "تيلسون" . فقال :

- أقول لك الحق يا "برودز" : إن الأمور لا تسير على ما يرام بالنسبة لي . فهناك عديد من القصص المنشورة في الصحف هذه الأيام توضح للمغفلين أسرارنا . . . ولقد ساءت الأمور إلى حد أن واحدا أو اثنين من الرجال قد اضطروا إلى سلوك الطريق الشريف ليقيما أودهما حتى لا يموتا جوعا !!

وهنا اعترف المستر "تيلسون" في أسى قائلا :

- إن ظروفك مشابهة لظروفي يا "فرد" . فخطوط الملاحة عبر المحيط الأطلسي نصفها غير مشغول . والرجال الذين يقومون بالرحلات يظهر أنهم لا يملكون من الأموال فائضا يستغلونه في أغراض الترفيه عن النفس كما كانت الحال عليه من قبل .

أوما "فرد" براسه ثم قال :

- حسنا . . . هذا هو ما جال في خاطري يا "برودز" . فلو أضفنا إلى ذلك أسبابا أخرى لوجدنا أن الحيل القديمة قد استغللت أغراضها . . .

وعلينا أن نعترف بذلك ، وأن نسابر الزمن ، و إلا داستنا الأقدام
والحاجة الآن ماسة إلى طريقة جديدة للاحتيال .
وهنا رفع مستر 'تيلسون' حاجبيه متسائلا :
- وهل نجحت في استنباط هذه الطريقة التي تدر مالا ؟
- لقد اخترعت طريقة جديدة للاحتيال ، وهي على الأقل جديدة
بالنسبة لي . . . وأجمل شيء فيها أنك لا ترتكب فيها أي عمل إجرامي ،
أو على الأقل لا يتأتى لأحد اكتشاف شيء على الإطلاق . . . فالعملية
كلها سليمة ولا تثير الشكوك ، ومهما حدث لا يمكن القبض عليك
لقيامك بها . . . وذلك إذا كنت حذرا في عملك .
فسأله مستر 'تيلسون'
- هل قمت بأية تجارب عملية لهذه الطريقة الجديدة ؟
- لا . . . ومشكلتي أنه لا يمكنني ذلك ، فهاأنذا قد ابتدعت هذه الفكرة
الرائعة وضع ذلك لا يمكنني استخدامها . ولهذا السبب جئت إليك ،
فما احتاج إليه يا 'برودز' هو شريك لن يخذعني ، ويمتاز بخفة يده ،
وليس له سجل لدى الشرطة . . . ولكل تلك الأسباب لا يمكنني تنفيذ
فكرتي بنفسي ، فالشخص الذي يقوم بتنفيذها يجب أن يكون شخصا
محترما لا يتأتى لأي فرد المساس به وهنا يأتي دورك . . . لقد امضيت
عدة أسابيع وأنا أفكر في كل الأموال التي تنتظر مني أن التقطها وأنا
أتساءل عن يمكنني أن أشركه معي ويكون حائزا على ثقتي . وأمس
فقط قال لي أحدهم إنك قد عدت . . . وهنا قلت لنفسني : 'فرد' . . . إن
'برودز' تيلسون هو الشخص الذي تريده فهو الرجل الذي يعاملك
بنزاهة ولن يفشي سر فكرتك . . . ولهذا عقدت العزم على أن أحضر
وأقابلك ، وأعرف شعورك نحو فكرتي . . . وأنا على استعداد لأذكرها لك
وتقديم رأس المال اللازم لها على أساس أن أشارك في نصف الأرباح .
وهنا سأله المستر 'تيلسون' في حذر :

- وما هذه الفكرة ؟

رشف 'فرد' بعضا من الشراب ، ثم مسح فمه بظهر يده وقال :
- فكرتي هي كالآتي : تذهب إلى أحد كبار تجار الجواهر على أساس
أنك رجل غني لك بعض الأموال في باريس ، وهو أمر يسهل عليك
تمثيله ، وتزعم أنك تريد أن ترسل لإحدى الفتيات قلادة كبيرة جميلة
من الماس أو شينا مماثلا . . . ثم تختار من مجموعته ما يساوي ألفا من
الجنيهات تقريبا ، وهو ما يمكنني تقديمه لك . . . على أن ترسل هذه
القلادة بطريق البريد ، وبالتالي يجب التأمين عليها . . . وهنا يجب
وضعها في طرد . . . وطوال ذلك الوقت يكون في جيبك صندوق آخر
يقرب في الحجم من حجم الطرد ، ولكن بداخله بعض الحصى حتى
يكون وزنه مماثلا لوزن الطرد الحقيقي . . . وهذا هو السبب في أن
الشخص الذي يقوم بذلك الدور يجب أن يكون بارعا في استخدام يديه
مثلك . . . وحينما يتم وضع القلادة في الصندوق . . .
وهنا قاطعه مستر 'تيلسون' متنهدا :
- ليس في ذلك شيء جديد . . . فليس لديك من المال ما يمكنك به
تعويض تاجر الجواهر عن قلادته . . . ومن ثم فانت ترغب في أن يبقى
الطرد المغلق طرقة داخل خزانته حتى ترسل له بطريق البريد تمنها
وتطلب منه إرسالها إليك . . . وعندما يعمل من انتظار وصول التعليمات
يقوم بفتح الطرد ، ويكتشف أنك قد استبدلت بالقلادة ما يكاد يساوي
وزنها من الحصى . . . ألا تظن أن فكرتك هذه قديمة جدا يا 'فرد' ؟
فرد عليه 'فرد' في سخرية :
- تقول ليس لديك ما يكفي من المال ؟ . . . هراء . . . بالتأكيد لديك ما
يكفي من المال . . . إنني أقول لك : إنني سأقدم لك ألفا من الجنيهات
لهذا المشروع . . .
ولن ينخدع أي تاجر جواهر اليوم بتلك الحيلة التي ذكرتها ، لانه

سيرسل فوراً في استدعاء رجال الشرطة فور أن تذكرها له . أنت تدفع
نقداً مقابل الجواهر التي تشتريها ، والعملية سليمة وفوق
الشبهات... والآن انصت إلى ما سأقوله .

* * *

واستمع مستر "الغريد نيلسون" وتأثر بما سمع ، وظهر له أن
التعديل الذي أجراه "لورد" على فكرة قديمة له كثير من الميزات التي
نسبها إليه المخترع الفخور . ومع أنها كانت لا تتفق تماماً مع مجال
النشاط الذي اختاره مستر "نيلسون" لنفسه . إلا أن تدهور الرحلات
عبر المحيط جعله أكثر تقبلاً للأفكار التي تفتح له إمكانات جديدة
لزيادة دخله .

كانت الطريقة الجديدة في الاحتيال مما يحلم به كل محتال . لأنها
من الأفكار التي لا تثمر إلا مرة واحدة في كل جيل . فتنجح لصاحبها
حصاراً ضخماً لكل من يحسن استغلالها حتى ينكشف أمرها
وتفضحها الصحافة فتبدأ في التدهور . ومع ذلك فقد كان من
الواضح أن هذه الطريقة الجديدة في الاحتيال ستلاقي نجاحاً مؤكداً
قبل أن يصيبها ما أصاب غيرها من الأفكار الممتازة .

* * *

ومن المحتمل أن سرور الشريكين في هذا الحلف الجديد بإمكانات
واحتمالات ما تحققه تلك الفكرة . قد جعلهما يتسبان مؤقتاً رغبتهم
المشتركة في مقابلة "أرسين لوبين" مرة أخرى . على أن تكون المقابلة في
ليلة حالكة الظلام . بجوار مجرى نهر وأن يكون معها حينئذ أثقال
من الرصاص .

* * *

أما "لوبين" نفسه فلم يكن يفكر فيهما . إذ كان يشغل تفكيره في ذلك
الوقت آراء خاصة عن نوع الصداقات التي كان يتلطف إلى تجديد

التعرف بها .

فمثلاً كانت "روث إيدن" من طراز مختلف ، إذ كان الحظ قد أسعده
بإنقاذها - في ظروف رومانتيكية - من اهتمام مستر "جولييان
لامانتيا" بها . وقد ترتب على ذلك أن وجد مستر "لامانتيا" نفسه أحد
ثلاثة فوجئوا بأنهم أصبحوا أفقر مما كانوا عليه بعد تلك المجابهة
مع اللص الخريف . ولذا فإن "لوبين" قد ضم اسمها إلى قائمة
الأشخاص الذين يسعده أن يقابلهم مرة أخرى في أي وقت وكان
"لوبين" قد تمكن من العثور لها على عمل عند أحد معارفه ، وهو تاجر
للجواهر النادرة يدعى "آلان أمبرتون" . له مكتب كبير يعقد فيه
الصفقات وخزانة ضخمة يحتفظ فيها بالجواهر بدلاً من أن يضعها
فوق رفوف مغطاة بالزجاج

وكان قد انقضى وقت طويل لم يسمع "لوبين" خلاله عن "روث شينا" .
وفي أحد الأيام طلبته تليفونيا .

وسر "لوبين" من سماعه صوتها ، لأنها منذ يوم لقائهما لأول مرة
أظهرت علامات الإعجاب ببطلته . وكان معروفاً عن "لوبين" أنه أبعد
الناس عن التواضع!

وسمعها تساله :

- هل نسيتني ؟

وهنا قهقهه "لوبين" ضاحكا . ثم قال :

- أقول لك الحق إنني كنت مشغولاً بقتل الناس . حتى أنه لم تكن
لدي دقيقة فراغ واحدة . ولقد ظننت أنك ربما تكونين قد تزوجت أو
حدث شيء من هذا القبيل .

فما رايت في تناول العشاء معي . ومشاهدة مجموعتي من الجماجم ؟

- لكم أود ذلك . متى ؟

- لم لا يكون ذلك الليلة ؟ . في أي وقت يسمح لك "آلان" بالانصراف ؟

- الخامسة والنصف .

وهنا قال 'لويين' :

- ساحضر لاصطحابك في الساعة السادسة . وبذلك يكون عندك ما يكفي من الوقت لارتداء ثيبتك يا عزيزتي .

ثم أنهى الإتصال التليفوني قبل أن يسمع منها ردا .

* * *

وفي الوقت المحدد كان 'لويين' منهمكا في التعليق على حركات 'روث' النسائية أمام إحدى المرايا في الغرفة الخارجية من مكتب الآن 'أمبرتون' عندما فتح الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الغرفة الداخلية . وسمع صوتا مألوفا بعض الشيء جعله لا يتم حديثه في منتصف إحدى الجمل .

وبعد لحظة . ولدششة 'روث' الكبيرة . كان 'لويين' قد اختفى تحت أحد المكاتب ، وكأنه أرتب مذعور يختفي في جحره . ولو لم تسرع 'روث' بالاستدارة نحو المرأة في الوقت الذي قام فيه 'أمبرتون' بتوصيل عميله إلى الخارج ، لما كان هناك شك في أنها قد انفجرت ضاحكة .

وعندما عاد تاجر الجواهر كان 'لويين' قد استعاد وضعه الطبيعي واقفا على قدميه ، فدشش 'أمبرتون' لرؤيته وقال :

- هالو 'لويين' . من أين ظهرت ؟

وكان 'أمبرتون' رجلا ضخام الجسم ، له وجه أحمر ضاحك ، أقرب إلى أن يكون قصابا متقاعدا . من كونه تاجرا للجواهر النادرة .

وكان يعجب بـ'لويين' رغما عن خطايا الأخير .

وأجاب 'لويين' بلا خجل :

- قد كنت مختبئا تحت المكتب ، لأنني كنت قد اسقطت بنساي وكنت أبحث عنه . كيف حالك ؟

فقال الآخر في صراحة :

- ليست بالحال الطيبة التي كنت أرجوها . ومع ذلك فأظن أنه لا يحق لي التذمر ، إذ إنني قد بعث الآن قلادة ماسية ثمنها ألف جنيه لتلك الشخص الذي كنت أودعه خارجا . هل رأيته ؟

فرد 'لويين' قائلا :

لا .

* * *

الواقع أنه كان كاذبا ، إذ إنه رأى المستر 'الغريد إيدن' بوضوح تام . وقد ألقاه الغرض الذي يهدف إليه 'برودن' من الحصول على قلادة ثمنها ألف جنيه .

ألقاه التفكير في ذلك كثيرا في أثناء ركوبه السيارة الأجرة مع 'روث إيدن' ، في طريقهما إلى حي الوست إند . فقد كان يعرف عن 'برودن' تيلسون' أنه كريم إلى درجة كبيرة مع معارفه من النساء .

ورغما عن ذلك فقد وجد من الصعب عليه أن يقتنع بوجود قلادة بهذا القدر مع مثل هذا الشخص المعروف بغرامياته .

وكان السر في فئنه لا يعدو أحد أمرين : إما أن المستر 'تيلسون' قد وقع على فريسة كبيرة منذ وقت قريب ، أو أن وراء عملية الشراء شيئا يخفى على الأعين . وكان مما يثير 'لويين' أن يقوم من يعرفهم بالانغماس في مشروعات لا يعرف عنها شيئا !!

ولاحظت الفتاة الصمت الذي ران عليه ، فتحدثت قائلة :

- لماذا أخفيت نفسك تحت المكتب يا 'لويين' ؟ . إنني أشعر بان

وراء ذلك سرا مثيرا .

فقال 'لويين' في زهو :

- يرجع الأمر إلى الفطرة والغريزة ، حتى لا يعرفني ذلك الرجل الذي خرج الآن ، فهو من أبرع محترفي لعب الورق في العالم كله . وكنت

قد أرحته في يوم ما من خمسة عشر جنيتها القاهها لي كطعم ليصطادني بها .

واتسعت عيناهما وهي تساله :

- هل أنت متأكد ؟ يا لله . لماذا إذن لم تذكر شيئاً عن ذلك للمستتر أمبرتون فوراً ؟

- لأنني أود أولاً أن أعرف حيلته الجديدة . وبهذه المناسبة الم تذكرني لي يوماً أنك تحبين أن تكوني شريكة في المغامرات ؟ حسناً يا روث . ها هي ذي فرصتك . اعرفي كل التفاصيل الخاصة بتلك العملية وكل ما يتعلق بها بدون أن تذكري شيئاً لـ 'الآن' . واستغلي مقدرتك لانترزاع الأسرار بدون أن يدرك أحد أنك تقومين بالبحث والاستقصاء . ثم أخبريني بكل شيء . وأنا أعدك بأن الآن لن يقع فريسة للاحتيال .

* * *

وفي مساء اليوم التالي قابلته روث وهي في نشوة من نجاحها في أول مغامرة تقوم بها . وكان من الصعب عليها الاحتفاظ بما لديها من معلومات حتى طلب لها وله شراباً . فقالت :

- لا أعرف السر في هذه العملية على الإطلاق . وربما يمكنك أنت ذلك . فقد أعطى المستر 'تيلسون' شيكاً بثمان الفلادة للمستتر 'أمبرتون' . وأصر -خاصة- على أن يقوم المستر 'أمبرتون' بصرف الشيك حتى لا توجد صعوبة في هذا الصدد . ومن ثم فلا بد أن الشيك لاغيار عليه . وسيرسل المستر 'تيلسون' الفلادة إلى صديقه له في باريس بمناسبة عيد ميلادها وقد حضر أحد الممثلين من شركة التامين اليوم لرؤية الفلادة .

- ما الطريقة التي سترسل بها الفلادة ؟

- عن طريق البريد . وسيحضر المستر 'تيلسون' غداً للتأكد من

إرسالها وتضمينها خطاباً منه . كما سيحضر في نفس الوقت رجل من شركة التامين .

وهي إجراءات رسمية كثيرة . وإن كنت أظن أن من المفروض عليه أن يكون على حذر . . . و . . . والآن ما الذي تظنه سيحدث ؟ هل تظن أن 'تيلسون' - أو 'برودز' كما تسميه - سيصوب مسدساً علينا جميعاً ؟ فتعتم 'لويين' قائلاً :

- أشك في ذلك . لأن 'برودز' رجل لا يتصف بالعنف . أضيف إلى ذلك أنه لو كان الأمر كذلك لغام بهذا العمل أمس . . . اتركيني أفكر في الموضوع

* * *

واضطجع في مقعد إلى الخلف . ومضى يحدق إلى الفضاء وهو يفكر . . . وكان قد اعترف أكثر من مرة أنه أبعد الناس عن حل الألغاز القديمة . ولكن تخيل دقائق الالغاز التي قد تحدث في المستقبل أمر مختلف عن ذلك . فعقلية 'لويين' كانت تؤدي أفضل وظائفها . وبأسرع وقت . في مثل هذه الأحيان وبينما هو يحدق إلى الفضاء امامه وقعت عيناه على عنوان عريض في الصحيفة المسائية التي كان يمسك بها رجل مكتنز يجلس إلى المائدة المجاورة فاعتدل في جلسته فجأة وهو يهتف :

- لقد عرفت السر . يا لله ! ما أبرعه .

- أوضح لي الأمر يا 'لويين' .

- لا يا عزيزتي . لا يمكنني ذلك إلا فيما بعد . ولكنك ستعرفينه إذا أحببت أن تقابليني مرة أخرى يوم السبت . وبهذه المناسبة ما ميعاد هذا الاجتماع لإرسال الفلادة بالبريد ؟

- الحادية عشرة . ولكن اسمع . يجب أن أخبر مستر 'أمبرتون' ؟

- فهز 'لويين' رأسه وقال :

- يجب الا تغلي شيئا من هذا القبيل . أتريدين أن تدمري العملية التجارية الوحيدة التي قام بها الرجل طوال الاسبوع ؟ ألم يتسلم الثمن ؟ دعني لي بقية العملية إذن . فهذا امر خاص بي . وعندما استمرت في محاولتها سؤاله . كانت إجاباته لها تتسم بالبلاهة مما جعلها ترغب في أن تصفعه على وجهه . وعادت إلى منزلها وهي نائرة . وغير مسرورة . وغير راضية كل الرضاء عن وعده لها بإخبارها بكل القصة عند الانتهاء منها .

* * *

ولكن الشعور بالانفعال عاودها في صبيحة اليوم التالي عندما حضر المستر 'تيلسون' إلى المكتب . وعندما نظرت إلى وجهه وردائه الذي يشبه رداء رجال الكهنوت . كان من الصعب عليها أن تصدق أنه نفس الشخص الذي وصفه لها 'لويين' من قبل .

* * *

وكان المستر 'تيلسون' دقيقا في محافظته على الموعد ... وقد حضر بعده بقليل مندوب شركة التامين . فقامت 'روث' بإدخال الرجلين إلى المكتب الداخلي . ووجدت أنه من السهل عليها البقاء في المكتب في أثناء إعداد الطرد وإغلاقه . وراقبت كل العمليات بدقة حتى انتهت . وتصافح أطراف العملية . ثم شرعوا في مغادرة المكان .

وفي كل تلك الأثناء لم تحدث أية حادثة صغيرة تجافي الإجراءات الرسمية المتوقع حدوثها في مثل هذه العملية . بل إنها بدأت تعجب وتساءل نفسها عما إذا كان 'لويين' مخطئا في ظنه .

* * *

وفي نفس الوقت لم يكن المستر 'الغريد تيلسون' على ذلك القدر من

الثقة بالنفس عندما قابل 'فرد جورمان' على ناصية الطريق . قال له وهو يتصبب عرقا :

- نعم . لقد اتممت عملية الاستبدال . واضننتي لم أتر أية ريبية . فقد كان ثمة فتاة في الغرفة استمرت تحقق إلي منذ الدقيقة التي وصلت فيها إلى اللحظة التي غادرت فيها المكان . وكنت أتوقع أن تعلق بكلمة ما في أية لحظة . ولكنها أبعدت عينيها عني لحظة واحدة عندما اسقطت ثعبتي من فوق المكتب . والآن هيا بنا إلى الفندق الذي أنزل فيه .

* * *

واستقلا إحدى سيارات التاكسي إلى الفندق الواقع في 'بلومزيري' . حيث يستأجر المستر 'تيلسون' جناحا متواضعا . أما 'فرد جورمان' فقد كان في حالة نفسية مرتفعة . ولذا قال :

- لقد تركت لخياك العنان يا 'برودز' إذ من المحتمل أنها كانت ترجو أن يكون لها صديق يهديها قلائد ثمن الواحدة منها ألف من الجنيهات...

والذي يقلقك هو أن العملية جديدة عليك . وستعتاد عليها بعد مرات قليلة . أما أنا فقد كنت أقول لنفسني و أنت تقوم بالتمرين على العملية : إن 'برودز تيلسون' هو أفضل شخص يقوم بعملية الاستبدال . وإنني قد اخترت أفضل شريك لي .

* * *

وصب المستر 'تيلسون' لنفسه كاسا من الشراب وجلس فوق أحد المقاعد ثم أخرج من جيب صدريته طردا كان يشبه تمام الشبه الطرد الذي أرسل بطريق البريد إلى باريس وذلك بعد أن أحكم إغلاقه في مكتب المستر 'امبرتون' وقال لشريكه :

- عليك أن تتخلص من هذه القلادة يا 'فرد' إذ إنه لم يسبق لي من

قبل التعامل في المسروقات .

- ساتخلص منها ويمكننا ان نحصل بكل سهولة على

اربعمائة جنيه . ولكن ماذا يحدث بعد ذلك ؟

إن هذا الطرد الآخر الذي قمت بتسجيله في نفس الوقت سينفجر ويحرق كيس البريد في القطار . وعندما ينتهون من إطفاء الحريق سيجدون أن قلابك مفقودة . وستخرج الصحف بقصة جديدة مثيرة عن سرقة اكياس البريد . وسيتعجب الجميع على الطريقة التي تمت بها السرقة بينما نقوم نحن بقبض أموال التامين . ويعني هذا ربعا قدره اربعمائة من الجنيهات في مقابل ساعتين عمل . ويمكننا القيام بهذه العملية بمعدل مرة كل اسبوع حتى ينكشف امرها .

وهنا ضرب 'فرد' فخذه براحة يده ثم مضى يقول :

- يالله يا 'برودز' ! كلما فكرت في الاموال التي سنجنيتها نتيجة الفكرة التي خطرت ببالي ..

وفجأة سمعا صوتا رقيقا من ورائهما يقول معلقا على حديثهما :

- ربما تتمكنان من الحياة للحصول على ذلك إذا جلس كلاكما في منتهى الهدوء .

ولكن الرجلين لم يجلسا في هدوء إذ إنهما استدارا بسرعة إلى الخلف وكان كلا منهما اصيب في جانبه .

وعندئذ ابصرا 'أرسين لوبين'

وكان الباب المؤدي إلى الحمام الخاص بالمستر 'تيلسون' قد فتح . ثم أغلق في اثناء حديثهما دون ان يسمعا شيئا .

واستند إليه الرجل المبتسم الذي كان يحمل في يده مسدسا اليا وهو يحركه من ناحية إلى أخرى في حركة بطيئة مكنت كلا منهما من أن يرى بعينيه فوهة ماسورته السوداء .

وتعمت 'لوبين' في صوت ينم على السرور :

- من المحتمل أنني أتفعل عليكما . ولكن ذلك أمر سيئ لا مفر منه .

وظهر على وجهي الرجلين تعبيرات مشتركة من الدهشة والخوف والنعمة والهلع والغضب وكانهما ثوران تعرضا لصدمة كهربائية غير متوقعة من حشائش بريئة المظهر .

وهنا عاد إلى المستر 'تيلسون' صوته فقال في لهجة لاقبة :

- يا إله الرحمة . إنه الرجل الذي كنت أحدثك عنه .

وهنا رد عليه 'فرد' في وحشية :

- إنه أيضا نفس الشخص الذي كنت أحدثك عنه . إنه ذلك القذر الذي أخذ مني ثلاثين جنيها في 'الكسندرا' ثم ..

واستدار راسا الرجلين حتى أصبح كل منهما ينظر في عيني زميله ليستشف الروح التي تكمن وراءهما .

وهنا ابتعد 'لوبين' عن الباب وتقدم نحوهما وهو يقول :

- إنه عمل يدل على البراعة المطلقة يا 'فرد' وذلك إذا سمحت لي بالتعليق عليه . وإن كان مع ذلك ليس بدعة جديدة ومع ذلك ففيه من الجدة ما يكفي ... ولقد كان شعورا طيبا منك إلى حد كبير أن تقوم

بهذا العمل الشاق من اجلي :

وهنا ساله مستر 'تيلسون' في ضعف :

- ماذا أنت فاعل ؟

وهنا أخذ 'لوبين' الطرد من بين يديه وقال :

- أريحك من هذا الطرد المزعج يا أخي . إنها قلادة جميلة جدا وإن كنت اظن أنه لن يمكن أن تتحلى بها فقد يظن الناس أن الأمر جد

غريب .

- سابلغ الشرطة عنك لفعلك هذا يا ..

وهنا رفع 'لوبين' حاجبيه وقال :

- الشرطة ؟ لتقول لهم إنني قد سرقت منك قلابك ولكنني فهمت من

حديثك أن القلادة في البريد في طريقها إلى فتاتك الصغيرة الموجودة في باريس فهل أنا مخطئ يا 'فرد' ؟

ابتلع المستر 'تيلسون' لعبابه بصعوبة . . وهنا قفز 'فرد' من مقعده قائلا :

- لعنة الله على الشرطة . إنني سأسوي حسابي مع هذا المدعي . إنه لن يجزؤ على إطلاق النار . وهنا قال 'كوبين' في رقة :

- ولكنك مخطئ في ذلك . . ولن يكون لدي أي اعتراض على إطلاق النار عليك إذا كان ذلك ما تطلبه . . ولقد مضى علي وقت طويل منذ آخر مرة أطلقت فيها النار على شخص ما . . واخاف إذ انقضت فترة طويلة دون تدريب ان اشعر بالجبن . ولذا أرجو الا تضطرنني إلى ذلك يا 'فرد' لأنني اشعر بانني في حالة عصبية

ومع ذلك كانت عينا 'كوبين' الزرقاوان ثابتتان لبات المسدس في يده . . أما نظرة 'فرد' فهي وحدها التي ظهر عليها التردد . . وهنا قال 'كوبين' في صوت ودود :

- سأضطر إلى تقييدكما حتى أتمكن من الخروج ولذلك هل يمكنكما أن تستديرا وسيكون في مقدوركما أن تفكا قيودكما بسرعة بعدما أذهب .

وهنا قال 'فرد' في احتجاج و 'كوبين' يقيد معصميه :

- إنك لا ترضى أن تكون شريكا في الاحتيال على شركة تامين . . ليس كذلك ؟

فقال 'كوبين' في براءة وطهر :

- إنني لن أكون شريكا في أي عملية احتيال فما أنا سوى لص شريف ليس لوثائق التامين الخاصة بكما أية علاقة بي .

وكان قد انتهى من تقييد الرجلين فقام بعد ذلك بتكميم فميهما في خشونة مستعملا في ذلك مناديلهما ثم تراجع في هدوء . . ويطء . . نحو الباب . . وخرج منه .

الانتقام

فتح باب مكتب 'بارنيت' ودخل منه رجل طويل القامة ، قوي العضلات ، مفتول الشاربين .. تدل تقاطيع وجهه على أنه إيطالي الجنسية .

ودخلت في إثر هذا الرجل فتاة في مقتبل العمر ، ممتعة اللون، تحمل بين ساعديها طفلاً حديث الولادة .

فنظر 'بارنيت' إلى الرجل ، ثم إلى الفتاة ، والطفل .. ومرت في جسده قشعريرة . تساعل .. ترى هل رزق بهذا الطفل في إحدى مغامراته الغرامية ؟

ولكنه اطمأن وتنفس الصعداء .. حين أمعن النظر في وجه الفتاة... وتأكد أنه يراها لأول مرة

قال الإيطالي بلغة فرنسية سقيمة :

- هل لي شرف التحدث إلى مسيو 'بارنيت' ؟

فاجاب 'بارنيت' :

- اظن ذلك .

فهتف الإيطالي :

- إذن فانت الرجل الذي نبحت عنه ..

- وهنا غاص قلب 'بارنيت' بين جنبيه مرة أخرى .. ونظر إلى

الفتاة للمرة الثالثة ثم أشعل لفافة تبغ وقال :

- تفضل بالجلوس ياسيدي ، وأنت كذلك يا سيدتي .. هل من خدمة
استطيع أن أؤديها لكما ؟

فسأل الإيطالي :

- هل يقوم مكتب 'بارنيت' بالاستعلامات .. وأعمال البوليس
السري؟

فاجاب 'بارنيت'

- ذلك مكتوب بباب المكتب

فقال الإيطالي وهو يقدم نفسه إلى محدثه بحركة مسرحية

- أنا ادعى (دومنيك نكارو)

فغمغم 'بارنيت' في لطف

- هذا بديع .

وأشار بإصبعه إلى الفتاة والطفل وسأل

- وهؤلاء اعضاء أسرتك المحترمة ؟

فاجاب 'نكارو' :

- هذه 'ماري' ابنتي . والطفل طفلها .. ولكنه طفل بلا أب

واغرورقت عينا الرجل بالدموع فجأة فقال 'بارنيت' :

- هذا إهمال بشع من جانب ابنتك . لماذا لاتعرف والد طفلها!

فاجاب 'نكارو' :

- إنها تعرف والده ... وهو يدعى جوزيف زولفيري .. ألم تسمع

بهذا الاسم ؟

- بل سمعت به .

والواقع ان 'بارنيت' قرأ في الصحف تفصيلات قضية التزوير
الشهيرة التي لعب 'زولفيري' اهم دور فيها . ثم استطاع أن ينجو من
العقاب

كانت قضية من أهم قضايا التزوير .. وقد احدثت في باريس منذ
شهور ضجة هائلة

وتتلخص هذه القضية في أن 'زولفيري' هذا استطاع مع أربعة من
اعوانه أن يزوروا عدداً كبيراً من سندات بلدية (كاليه) . وقد اكتشف
امرهم بعد أن روجوا السندات المزورة وتخلصوا منها . فقبض
البوليس على الشركاء الأربعة . وقدموا إلى محكمة الجنائيات حيث
حكم على كل منهم بالسجن مع الشغل عشرة أعوام .

أما 'زولفيري' نفسه الذي كان يعتبر رئيس العصابة . فإنه
استطاع الفرار في الوقت المناسب . وفي الوقت الذي كان فيه زملاؤه
يصفون إلى حكم محكمة الجنائيات . كان هو يتمتع بحريته في قصره
الفاخر في 'سان ريمو' بسويسرا .

وهكذا نجا ذلك المجرم من العقاب . لأن من أسس القوانين الدولية
الا تسلم إحدى الدول واحداً من رعاياها ليحاكم في دولة أخرى .. وكان
'زولفيري' يتمتع بالرعاية السويسرية .. ولذلك فإنه آمن شر العقاب .

قال 'بارنيت' وهو ينتظر نحو الطفل :

- وكيف حدث ذلك ؟

فاجاب 'نكارو' :

- إنني املك مطعماً صغيراً بالقرب من الشانزلزيه . وقد اعتاد

رولفيري أن يتردد على هذا المطعم لأنه من عشاق (المكرونه)

وكانت ابنتي تعمل معي في المطعم . وهي حسناء كما ترى يا سيدي فأما رولفيري وأعجب بها . وكان كلما فرغ من طعامه ذهب إلى حيث تجلس ابنتي لكي يدفع لها ثمن الطعام . ثم كان ينتهز الفرصة ليجازبها أطراف الحديث .

وفي أحد الأيام . طلب إليها أن ترافقه في نزهة خلوية

* * *

وكان تكاروا يتكلم بصوت حزين متهدج . فرأى بارنيت دمة تسيل على خده هي دمة الوالد الحزين المشفق على شرف ابنته التعبة

استطرد تكاروا :

- كانت تبدو على الرجل علامات الكرم والنبيل والوقار . فلم يداخلني شك في حسن نواياه . ولذلك لم امنع ابنتي من مرافقته . وتكررت دعوات رولفيري فكان يخرج للنزهة مع ماري في أيام الاحاد ..

ويقدم إليها الهدايا . وكانت تصرفاته جميعاً تدل على انه مولع بها . وسرني في الواقع أن توفق ماري إلى زوج ثري مثله . وفي أحد الأيام . لاحظت على ابنتي تضخماً . وادركت انها توشك أن تلد ..

وأقول لك الحق يا مسيو بارنيت إن الدنيا اسودت في عيني في ذلك اليوم .. حتى هممت بالبطش بابنتي المحبوبة . صرخت في وجهها :

- ماذا فعلت أنتها الشقية التعبة .

فلزمت الصمت أولاً . ثم اعترفت لي بكل شيء وهي تبكي . اعترفت لي بانه ثلم شرفها . فلطمت خدي لهذه المصيبة .

* * *

ومن الإنصاف للسنيور تكاروا أن نقول إنه لطم خده فعلاً وهو يسرد القصة على مسامع بارنيت :

استطرد الرجل :

- لطمت خدي . ورايت شبح العار والفضيحة .. صرخت : يجب أن أقتل هذا الشقي .

ولما هدأت ثائرتي .. وفكرت في الأمر ملياً .. وجدت أن أفضل وسيلة لدرد الفضيحة هي إقناع رولفيري . بالاقتران بابنتي .. فإذا اقتنع كان بها وإلا فإنني أثار لشرفي بقتله ...

ولا أعلم كيف شعر الشقي بما اعترمته . لأنه انقطع فجأة عن التردد على المطعم .. فذهبت إليه في مكتبه فقبل لي إنه ليس موجوداً .

ذهبت إليه في منزله . فقال الخدم إنه خرج . بعثت إليه بالآف الرسائل ولكني لم اتلق رداً .

ومرت الأيام بسرعة .

وأخيراً كتبت إليه أنذره بإبلاغ الأمر إلى البوليس إذا لم يسرع إلى مقابلي لتصفية الحساب ... وتسوية الموقف .. فرد على خطابي بقوله إنه سيقابلني بأسرع ما يمكن ..

ولكنه جبن ولم يحضر لمقابلي ..

ثم علمت أنه سافر إلى (سان ريمو) بسويسرا . فكتبت إليه هناك .

ورد علي بأنه سيسرع لمقابلتي حال عودته إلى باريس .

وفي أحد الأيام قرأت في الصحف أنه مجرم مزور ، وأن البوليس يبحث عنه .

وهكذا أصبحت ماري امرأة بلا زوج . وانقطع الأمل في عودة رولفييري .

فهز بارنيت رأسه بحزن وقال مشفقاً :

- هذا محزن . ولكن ماذا في استطاعتي أن أفعل ؟ أنا بالتأكيد لست على استعداد للزوج بابتك .

فاعتدل تكارو في مقعده وقال :

- عفوا ياسيدي .. إنني لا أطالب بهذا .. ولكني احتاج إلى معونتك .. بصفتك مدير مكتب بارنيت للاستعلامات وأعمال البوليس السري الخاصة . والمهمة التي أرجو أن تضطلع بها خدمة للإنسانية ورحمة بهذه البنية التعسة وطلبتها هي مهمة تتطلب الكتمان

إنني قد أعددت العدة لهذه المهمة ياسيدي .. أعدتها بإتقان عظيم .. بمعونة بعض أصدقائي هنا في باريس وفي (سان ريمو) . لم أبخل ولم يبخل علي أصدقائي بالمال اللازم لإنقاذ مشروع

ويتلخص هذا المشروع في اختطاف رولفييري ، وإحضاره إلى باريس في إحدى الطائرات . وقد ابتعنا الطائرة . ولا ينقصنا الآن سوى الشخص النشيط الكتوم الذي نستطيع أن نعهد إليه بقيادة الطائرة .

وقد قبل لي يا سيدي إنك تجيد قيادة الطائرات .

* * *

وفجأة .. وبغير إنذار .. ارتدى الأب التعس فوق قدمي 'بارنيت' .

واستطرد بلهجة التوسل والصراعة :

- إنني أغفر جبهتي تحت قدميك يا سيدي ، وأرجوك أن تساعدنا

حتى لا يكون لابنتي طفل بلا أب .

فشعر بارنيت بالإشفاق على هذا الأب التعس . ولكنه رفض قبول المهمة قبل أن يعلم المزيد من الإجراءات التي اتخذها تكارو واختطاف رولفييري ..

وعندئذ راح الرجل يوضح له خطته بالتفصيل . فقال إنه وبعض أصدقائه قد اتفقوا على الانتقام بأنفسهم من جوزيف رولفييري بما طبع عليه الإيطاليون من حب الأخذ بالثأر . وإن واحداً من أولئك الأصدقاء قد التحق بخدمة رولفييري في قصره 'سان ريمو' لكي يساعد على اختطاف ذلك الشقي .. وإن الآخرين دبوا حادث الاختطاف تدبيراً متقناً لم يتركوا فيه شيئاً للمصادفات .. وإن تكارو نفسه استأجر قصرأ وسط الحقول خارج باريس لكي يسجن فيه رولفييري .. وأنه عني بإعداد العدة لهبوط الطائرة في تلك الحقول .. كما أنه ابتاع طائرة خاصة لاستخدامها في نقل رولفييري من 'سان ريمو' إلى ذلك القصر .. ولم يبق إلا الحصول على الشخص الأمين الذي يتولى قيادة الطائرة .

فسأله بارنيت :

- هب أن الخطة نجحت .. وأن رولفييري قد اختطف .. وجيء به إلى القصر الخلوي الذي استأجرته خارج باريس .. فماذا في نيتكم أن تصنعوا به ؟

فاجاب 'تكارو' على الفور :

- في نيتنا أن نرغمه على الاقتران بـ 'ماري' .

- كيف ترغمونه على ذلك ؟

فابتسم 'تكارو' وقال :

- كن مطمئنا .. إننا نعرف كيف نرغمه .. وسوف تشهد بعيني

راسك حفلة الزواج .

* * *

وقد فكر 'بارنيت' في الأمر ملياً .. ووجد أن المشروع لا يكلفه كثيراً من الجهد . ولكنه يؤدي إلى إسعاد 'ماري' التعسة .. والانتقام من 'رولفييري' . ذلك المجرم الذي يبحث عنه رجال البوليس .

وما كاد 'بارنيت' يعبر عن استعدادة لقيادة الطائرة ، وإنفاذ الخطة التي وضعها 'تكارو' حتى هجم عليه هذا الأخير وتناول يده عنوة .. وراح يقبلها .

وأخرج من جيبه رزمة من الأوراق المالية قدمها إلى 'بارنيت' فرفضها هذا بقوله :

- إن مكتب 'بارنيت' يؤدي أعماله مجاناً لخدمة الإنسانية والعدالة.

* * *

وفي اليوم المحدد للعمل قصد 'بارنيت' إلى مطار (بورجيه) وتفقد الطائرة .. واستوثق من ادواتها .. وبدأ رحلته .

وما إن حلت الطائرة في الجو حتى أسرع 'تكارو' فابرق إلى اصدقاءه في (سان ريمو) للاستعداد للعمل في ذلك المساء .

ولم يسع 'بارنيت' إلا الاعتراف بأن 'تكارو' واصدقائه قد دبروا خطتهم أحسن تدبير لأنه لم يكذب يصل إلى مطار (سان ريمو) حتى قابله أحد اعدوان 'تكارو' وطلب إليه أن يستعد للعودة إلى باريس في الساعة الثامنة مساء .

وفي الساعة الثامنة مساء رأى موكباً يجتاز المطار .. وأبصر بالمقاتة 'ماري' تدفع أمامها مقعداً كبيراً ذا عجلتين ، وقد جلس في ذلك المقعد رجل شاحب اللون عرف فيه 'بارنيت' ذلك الشقي المزور 'جوزيف رولفييري' الذي نشرت جميع الصحف صورته الفوتوغرافية غداة القبض على شركائه في قضية تزوير سندات بلدية (كاليه) وقد أدرك 'بارنيت' في الحال أن الرجل حَقَنَ بمادة مخدرة لمنع من الاستغاثة أو فضح الخطة .

وقد أقبل مع 'ماري' و'رولفييري' رجل آخر قريب الشبه من 'تكارو' يضع على عينيه نظارة سوداء كبيرة وقد قدم هذا الرجل نفسه إلى السلطات ذات الشأن بأنه الطبيب الخاص بالمريض والمريض هو 'رولفييري' . وأنه سيرافق المريض في رحلته إلى باريس حيث يجري له بعض الإخصائين عملية جراحية مستعجلة .

وكان التخلص من السلطات ذات الشأن هو أهم جزء في الخطة . ولكن 'تكارو' وأعدوانه كانوا قد استعدوا لذلك أحسن استعداد وأعدوا الأوراق وجوازات السفر اللازمة .

وحوالي الساعة التاسعة .. حلت الطائرة في جو (سان ريمو) . واتخذت وجهتها شطر باريس .

وكانت الرحلة الجوية موفقة .. فلم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر أكثر من أن 'رولفييري' عاد إلى وعيه ووجد نفسه بين السماء .. والأرض فتعاونت 'ماري' و الطبيب الزائف على شد وثاقه وتكميم فمه .

* * *

ووصلت الطائرة إلى ضواحي باريس قرب الفجر . وهبطت في الحقل
المجاور للقصر الخلوي .
وماكادت تهبط حتى خرج 'تكارو' مسرعا . وهتف وهو يكاد يرقص
طربا :

- هل جئتم به ؟

فاجابه 'بارنيت'

- نعم .. ومن الأوفى أن تسرعوا في نقله إلى القصر قبل أن يشعر

أحد بوجود الطائرة

- وتعاون 'بارنيت' معهم على نقل الرجل وهو موثق اليدين

والقدمين مكبح الغم

ونظر 'تكارو' إلى غريمه نظرة حقد وشماتة . ثم نابط ساعد

'بارنيت' . وسار به نحو الباب وهو يقول :

- إنني عاجز عن شكرك يا سيدي . لقد أعددت لك سيارة لنذهب بها

إلى باريس إذا شئت .

فقطب 'بارنيت' حاجبيه وسأل :

- ألا تستطيع شهود حفلة الزواج ؟

فاجاب 'تكارو' :

- بالتأكيد .. بالتأكيد ولكنها ستقام فيما بعد . لقد كنت في حالة

من الإسراع نسيت معها بعض الأدوات اللازمة وفي مقدمتها قطعة

الصابون

فتنظر إليه 'بارنيت' في دهشة وسأل :

- قطعة الصابون ؟ هل تريدون إرغامه على الاستحمام قبل الزواج ؟

فصاح 'تكارو' وهو يضحك :

- كلا .. كلا . إنك لا تستطيع أن تفهمني . قطعة الصابون ليست

للاستحمام . وإنما لحمه على الاقتناع والقبول . وسوف ترى بعيني
راسك في الوقت المناسب . نعم . سادعوك في الوقت المناسب . أما الآن
فإنك تستطيع أن ترحل إذا شئت . مزودا بشكري وامتناني .
فتنظر إليه 'تكارو' مدهوشا ثم هز كتفيه وقال :

- على رسلك يا صاح .. والواقع أن عندي من الأعمال مالا يسمح

لي بإضاعة وقتي في مراقبة طريقة استخدام الصابون في حمل أحد

الناس على الزواج رغم أنه قال 'تكارو' :

- سامر بكتبتك غدا لاسترداد هذه السيارة

- لابس

ووثب 'بارنيت' إلى السيارة . وانطلق بها كالسهم

* * *

على أنه لم يكن خالي الذهن من الموضوع .

كان قد سنع في حياته عن وسائل كثيرة من وسائل التهديد

والإرغام . ولكنه لم يسمع قبل تلك الليلة أن قطعة الصابون البريئة

يجوز إعاقتها ضمن وسائل الإرغام والضغط الأدبي أو المادي . اللهم

إلا أن يكون للسنيور 'تكارو' وذويه رأي سئى جدا في ثقافة 'رولفييري' .

وأن يكون مجرد تهديده بالاعتقال هو في اعتقادهم أفضل وسيلة

لإرغامه على الزواج .

وفكر في أن نية القوم ربما كانت منصرفة إلى تلطيخ 'رولفييري'

بالأوحال .. ثم تنظيفه بالماء والصابون .. أو حملة على أكل قطعة

الصابون كما كان ياكل المكرونة في مطعم 'تكارو' .

مهما يكن من أمر فقد أصبحت قطعة الصابون في لمح البصر

مشكلة المشاكل في نظر 'بارنيت'

* * *

على أن 'بارنيت' لم يكن بالرجل الذي يسمح للفضول بأن ينهش قلبه ، ولذلك فإنه انطلق بالسيارة حتى ابتعد بها عن القصر.. ثم أوقفها إلى جانب الطريق .. وعاد أدراجه سيراً على قدميه .
ولما اقترب من القصر .. أرهف السمع .. ثم واصل السير في حذر . ودار حول بناء القصر . وانتهى أمام نافذة المطبخ .. فعالجها بلباقه . وتمكن من فتحها ، ثم وثب منها إلى الداخل .. وأخذ يشق طريقه مستعيناً بمصباح كهربائي معه حتى وصل إلى الغرفة التي ترك فيها 'زولفيري' وأعداءه .

* * *

كان باب الغرفة مغلقاً .. فأطل 'بارنيت' من ثقب القفل . وراى 'نكارو' يتحدث إلى الرجل الآخر الذي قام بدور الطبيب . وقد رفع الطبيب الزائف النظارة عن عينيه .. وعندئذ لاحظ 'بارنيت' الشبه العجيب بينه وبين 'نكارو' .. وأدرك أن الرجلين شقيقان .
أما 'زولفيري' فكان ملقى على أحد المقاعد وهو لا يزال مشدود الوثاق

وأما 'ماري' فكانت تدخن .. وقد جلست على أحد المقاعد ووضعت ساقا على ساق ، فكشف ثوبها عن جوربها إلى ما فوق الركبتين . وهي جلسة عجيبة لاتنفق بحال مع طبيعة موقفها كفتاة ساذجة ثم شرفها . وتتخبر أن يصلح الرجل الذي اعتدى عليها ما أفسده .
تحدث الشقيقان طويلاً باللغة الإيطالية .. ثم انثنى 'نكارو' إلى 'زولفيري' وسأله :

- والآن .. ماذا اعتزمت ؟

فاجاب 'زولفيري' بحدّة :

- مهما فعلتم بي .. فإنكم لاتستطيعون إرغامي على أن ادفع سنتيما

واحداً .

فقال 'نكارو' :

- هذا صحيح .. ولكن دعني أوضح لك موقفك ، واضع أمام ناظرِكَ المتاعب التي يعرضك لها هذا الرفض :

إنك الآن في باريس . حيث يريد رجال البوليس أن يضعوا أيديهم عليك باي ثمن . لكي تكفر عن جريمة التزوير التي أرسل شركاؤك إلى السجن بسببها .

ولعلك تعلم ماذا ينتظرُك إذا قبض عليك : عشرة أعوام في السجن مع الأشغال الشاقة . أسوة بزملائك على الأقل . وليس أيسر علينا الآن من أن نترك هنا مكتوف اليدين والقدمين . ونرشد البوليس إلى مكانك

إن مائة ألف فرنك ليست مبلغاً جسيماً . فاشتر حريتك ونجاتك بهذا المبلغ الناقص .

فنظر 'زولفيري' إلى أرض الغرفة . وفكر لحظة . ثم قال :

- سأعطيك خمسين ألفاً فقط

فقال 'نكارو'

- نحن نطالب بمائة ألف فرنك لاتنقص سنتيماً واحداً . إما هذا المبلغ وإما تسليمك للبوليس . فكر في الأمر ملياً . هانتذا قد بدأت تدرك أهمية المرونة والتفاهم فكن عاقلاً حكيماً . وادفع المبلغ الذي نطالبك به . فنطلق سراحك . ونمهد لك السبيل لمغادرة فرنسا قبل بزوغ الشمس وليس أسهل علينا أن نوهم ذلك المغفل 'بارنيت' بأنك نزلت على إرادتنا دون أن نضطر إلى الالتجاء إلى الصابون . وأننا أسرعنا بإبرام عقد الزواج قبل أن تغير رأيك . ومن المؤكد أن يوافق على

العودة بك إلى (سان ريمو) في الحال، فلا يعود ثمة ماتخشاها

فقال رولفييري كأنه يشجع نفسه :

- ليس ثمة ما أخشاه الآن .. لانكم لاتفيدون شيئا من وراء تسليعي

إلى البوليس .

فقاتلت الفتاة بلهجة لاتدع مجالاً للشك في أن المسألة ليست مسألة

زواج ولكنها حادث احتيال يراد به سلب الرجل بعض ماله بالتهديد

والوعد :

- هذا صحيح .. إن تسليمك الى البوليس لايفيدنا شيئا .. ولكنه

يكون أفضل جزاء لك نظير ما أضعناه من الوقت والمال

وقال الطبيب الزائف :

- إنك جمعت من جريمة التزوير مبالغ طائلة .. فماذا يضيرك لو

نزلت لنا عن جانب تافه من هذه المبالغ ؟

- ولكني لا أملك في فرنسا كل هذا المبلغ الذي تطلبون ؟

فأجاب تكارو بصوت أجش :

- بل أنت تملك أضعاف هذا المبلغ في البنك السويسري الفرنسي

باسم (بيير فونتان) .. ومعنا تحويل على هذا البنك لاينقصه سوى

إمضائك .

كل ما نطالبك به الآن هو أن توقع باسمك على هذا التحويل ،

وتكتب بخطك خطابا إلى البنك لأصرف المبلغ لحامله حالا .

أسرع ، ولا تضيع الوقت سدى ، لقد بدأ صبرنا يفرغ .

وكان من الطبيعي أن تستمر المساومة بعض الوقت ، ولكنها انتهت

إلى النتيجة المقررة ، فوقع رولفييري باسمه على التحويل ، وكتب

بخطه رسالة إلى البنك .

قال بعد أن فرغ من ذلك :

- والآن .. أطلقوا سراحي ودعوني أذهب .

فأجابه تكارو :

- سنطلق سراحك عندما يذهب أخي إلى البنك ويعود بالمبلغ في

جيبه ، وقبل ذلك لايمكن أن نطلق سراحك .

سمع بارنيت هذا الحديث .. وأدرك أن وقت العمل لم يحن بعد .

فعاد أدراجه من حيث أتى .. وانطلق إلى المكان الذي ترك فيه السيارة

ووثب إليها .. وقصد بها إلى مكان بعيد عن الطريق الذي يتوقع أن

يمر به شقيق تكارو في ذهابه إلى باريس وعودته منها .

ثم تمدد بارنيت في السيارة وأغمض عينيه .

وحوالي الساعة التاسعة أبصر بارنيت سيارة شقيق تكارو

وهي تشق طريقها نحو القصر .. فتمهل قليلا ، ثم وثب إلى سيارته

وأسرع بدوره إلى القصر .

وطرق الباب .. وفتحت الفتاة ، وقصد بارنيت توأ إلى الغرفة

التي كان بها رولفييري .. فرأى الرجل لايزال مشدود الوثاق ، ورأى

الشقيقين يتحدثان بصوت خافت وعلى وجههما علامات البشر

والسرور .

ووقع بصر تكارو على بارنيت ، فجمد في مكانه لحظة ، ثم هتف :

- أهذا أنت أيها الصديق العزيز؟ إنك جئت في الوقت المناسب . لقد
أوشكت أن أذهب إليك لأرجوك أن تعود بصهري العزيز إلى (سان ريمو)
ريمو) .

فقال 'بارنيت' كأنه لا يصدق أذنيه :

- صهرك العزيز؟ لقد جئت وبودي أن أشهد حفل الزواج

فابتسم تكارو وقال :

- إنه وافق على الزواج من ماري دون أن يضطرنا إلى اللجوء إلى
قطعة الصابون وقد وقع بإمضائه على وثيقة اعترف فيها ببنة
الطفل.. وكنت الآن على وشك أن أحل وثاقه .

فسأل 'بارنيت' :

- إذن فكل شيء الآن على مايرام .

- نعم أيها الصديق الكريم ، والفضل في ذلك لك

فقال 'بارنيت' وهو يبتسم :

- في هذه الحالة أرجو أن ترفعوا أيديكم

ورأى الرجلان والغفاة مسدساً مصوباً إليهم .. ولكن تكارو رفض

أن يصدق عينيه فغمغم :

- ما هذه الدعابة ؟

فضحك 'بارنيت' وقال :

- إن المهزلة يجب أن تنتهي بدعابة .

ثم مد يده إلى جيب شقيق تكارو وأخرج رزمة من الأوراق المالية

ودسها في جيبه وهو يقول :

- إنها دعابة قاسية فيما اعتقد ... ولكنها عادلة .. إنكم أسرة ذكية

موهوبة . وفي استطاعتكم أن تغفروا أنفسكم بانكم خدعتموني طيلة
الأيام الأخيرة ... وضحكتم مني أولاً ، فليس غريباً أن أضحك منكم
أخيراً ..

إنني لا أتمالك من الارتجاف كلما فكرت في أن الحيلة كانت تجوز

علي إلى النهاية .. لولا حكاية الصابون

فصاح تكارو في حنق :

- صبراً أيها الخنزير حتى أقابلك مرة أخرى .

فاجاب 'بارنيت'

- إنني في انتظارك أيها الأخ العزيز .

واخذ يتراجع إلى الوراء والمسدس لا يزال في يده

* * *

وقد رأى 'رولفيري' وسمع وهو مدهوش مشدوه .. ولكنه أدرك

حقيقة الموقف في آخر لحظة . فصاح ب 'بارنيت' :

- صبراً .. صبراً .. كيف اعود إلى (سان ريمو) ؟

فاجاب 'بارنيت' :

- علم ذلك عند الله والسنينور 'تكارو' . فمن المحتمل أن يساعدك

السنينور على الفرار إذا نقدته مبلغاً آخر من المال . والواقع أن مائة

الف فرنك مبلغ تافه بالقياس إلى عشرة أعوام اشغال شاقة .

ثم التفت إلى 'تكارو' واستطرد :

- ونصيحتي لك ألا تنسى قطعة الصابون في المرة المقبلة أيها

الصديق .

وأغلق الباب .

قبلة تساوي نصف مليون فرنك

كانت حفلة ساهرة من أعجب الحفلات .. ليس فقط لأنها جمعت بين بارنيت وبيشو ووسط طبقة من أرقى طبقات الهيئة الاجتماعية في باريس .. وإنما كذلك لأن أرسين لوبين وعد بالاشتراك فيها . وكانت صاحبة هذه الحفلة هي السيدة تيلار .. التي اشتهرت بانها تملك أربع سيارات (رولزرويس) وماسة يقدر ثمنها بنصف مليون فرنك تتدلى من عقد فوق صدرها وثروة واسعة ورثتها عن زوجها الذي كان بقالا حقيراً .. ثم جازف برأس ماله في المضاربات وارتفع في سنوات قلائل إلى صف رجال المال الذين يشار إليهم بالبنان .

وقد وضعت السيدة تيلار نصب عينيها بعد وفاة المرحوم زوجها أن تستمتع بحياتها وشبابها كما يحق لها أن تستمتع وأن تنبوا في الهيئة الاجتماعية المكانة التي تؤهلها لها ثروتها الواسعة . فكان حب الظهور هو غايتها ، والمال هو وسيلتها .

وقد استطاعت بفضل حفلاتها الساهرة ، وسياراتها الفاخرة ، والماسة الرائعة التي تتالق فوق صدرها ، استطاعت بفضل ذلك كله أن تدس بنفسها في أوساط لم تكن تحلم بها قبل أن يتحول زوجها من بقال إلى رجل من رجال المال والأعمال .

وعندما ابتاعت السيدة تيلار تلك الماسة المشهورة باسم ماسة (كريزر) أعلنت الصحف هذا النبأ بحروف بارزة .. وقد قررت السيدة أن تترزين بالماسة الشهيرة لأول مرة في تلك الحفلة الساهرة ، التي

أقامتها في قصرها ، ودعت إليها جميع أصدقائها و صديقاتها

* * *

كان 'بارنيت' يسير في صالة القصر الكبرى متباطئا ساعد صديقه
المركيز 'دومبريا' سفير إيطاليا في باريس الذي عرفه عقب حادث سرقة
ملايين بنك إيطاليا ، حين التقت عيناه فجأة بعيني 'بيشو' .
وجمد مفتش البوليس في مكانه كأنه رأى شيئا ، ولكن 'بارنيت' لم
يعبأ به ، بل واصل السير وهو يبتسم .

وبعد بضع دقائق ، حانت من 'بارنيت' التفاتة ، فرأى 'بيشو'
يتعقبه ، وينظر إليه كما تنظر القطاة إلى الغار قبل أن تثب عليه .
والتقى المركيز (دومبريا) بسيدة يعرفها ، فحياها ، وأخذ يتحدث
إليها .

وهنا شعر 'بارنيت' بيد توضع على كتفه فنظر خلفه ، ورأى 'بيشو'
ينظر إليه شزرا قال 'بارنيت' متصنعا الدهشة :
- أهذا أنت ! ماذا جاء بك إلى هنا ؟

فاجاب 'بيشو' :

- و ماذا جاء بك أنت إلى هنا ؟

- يا لله . ما أعجب أطوارك يا عزيزي 'بيشو' . أتجد من الغرابة ان
أرافق صديقي المركيز (دومبريا) سفير إيطاليا في باريس إلى إحدى
الحفلات الساهرة ؟

فنظر 'بيشو' حوله ، ثم اقترب من 'بارنيت' وقال له في صوت
خافت :

- أصغ إلي . إنني مكلف رسميا بحراسة مدام 'تيلار' والمحافضة
على ماسة (كريزر) فإذا خطرلك ..

فقاطعه 'بارنيت' :

- دعني أهنتك على هذه الثقة الغالية يا عزيزي 'بيشو' . وكن على

يقين من أنني لن أتردد في مساعدتك في هذه المهمة الخطيرة إذا
شعرت بحاجة إلى مساعدتي .

فنظر إليه 'بيشو' شزرا وقال :

- أنت قرأت الصحف بالتأكيد ؟

- نعم . ولكني لم اصدق كلمة واحدة مما ذكرته هذه الصحف عن
رسالة التهديد التي تزعم السيدة ان 'أرسين لوبين' بعث بها إليها
مهيدا بان يسرق الماسة في هذه الحفلة .
- لاتصدق ..

- لاننس يا عزيزي 'بيشو' ان مدام 'تيلار' امرأة مولعة بحب الظهور
والشهرة وفي اعتقادي ان حكاية 'أرسين لوبين' واعتزازه سرقة العقد
الليلة ليست إلا زعما باطلا ترمي به السيدة إلى الشهرة . لأنها تعلم
ان أولئك الذين يطمعون في رؤية 'لوبين' أكثر بكثير من أولئك الذين
يطمعون في مشاهدة الماسة .

فقال 'بيشو' مهيدا :

- لقد أردت ان أقول لك إنني لن أتردد في إطلاق الرصاص على أي
شخص تحدته نفسه باختطاف الماسة .

فاجاب 'بارنيت' متحمسا :

- هذا خير ماتفعل ، وفي اعتقادي ان 'لوبين' لو علم بهذا القرار
لفكر مرتين قبل ان يختطف الماسة ، ولكن يا لله ، إنك فاجاتني مفاجأة
انستني ان أهنتك .

- تهنئي ..

- نعم . هانذا أرى انك ابتعت رباط رقبة جديداً

فعض 'بيشو' على شفته وهم 'بارنيت' بالابتعاد وهو يبتسم .
فقال 'بيشو' :

- حدثني يا 'بارنيت' ماذا جاء بك إلى هذه الحفلة ؟

- كن مطمئناً يا عزيزي 'بيشو' . إذا كنت تتوهم أن مدام 'تيلار' تعتقد أنني أمر من رجال البوليس في حراسة ماستها ، وأنها استدعتني لأقوم بهذه الحراسة فأنت مخطئ . إن زيارتي بريئة ، خالية من أية صبغة بوليسية . وأنا على استعداد لأن أقسم لك بأن مدام 'تيلار' لم تذهب إلى مكتب 'بارنيت' وشركائه .

ومضى 'بارنيت' في سبيله إلى حيث كانت مدام 'تيلار' تتحدث إلى فتاة أنيقة رشيقة .
قالت مدام 'تيلار' :

- أرى أنك وحيد يا مسيو 'بارنيت' . دعني أعرفك بصديقتي العزيزة الأنسة 'روزموند أرميتاج' ، ابنة عم الكونت 'تيرل' . إنها تجيد كل أنواع الرقص ، وأعتقد أنه يسرها أن تراقصك متى بدأ الرقص .
فحنتي 'بارنيت' قامت باحترام أمام تلك الغادة الهيفاء . وعندما رفع رأسه التقت عيناه بعيني الفتاة . ونظر كل منهما إلى الآخر بحدة .

قالت مدام 'تيلار' فجأة :

- يخيل إلي أنكما تقابلتما قبل الآن ؟

فاجاب 'بارنيت' على الفور :

- نعم .. لقد تقابلنا .

ثم تحول إلى الفتاة واستطرد :

- ألم نتقابل في مطار (بورجيه) يوم كان في نيتك السفر إلى (أوستند) ؟

فاجابت الفتاة بصوت خافت :

- أظن ذلك .

واقبلت في هذه اللحظة إحدى المدعوات ... وراحت تتحدث إلى

مدام 'تيلار' ..

وعزفت موسيقى الرقص ، فأحاط 'بارنيت' خصر 'روزاموند' بساعده قبل أن تسمح له الفتاة بذلك ، واجتذبتها إلى حلبة الرقص .

قال 'بارنيت' بصوت خافت :

- هذه صديقة سعيدة ، ومقابلة غير منتظرة يا عزيزتي 'كاترين' ، لقد عرفتكم بصعوبة . ومن المؤكد أن 'بيشو' لن يعرفك ، إنك تجيدين التنكر كل الإجابة . وعندما رأيتك لأول مرة ، كان شعر رأسك أحمر ، وكانت عيناك سوداوين . أما الآن فشعر رأسك أسود ، وعيناك حمراوان .
وضحك ، فلم تجب الفتاة ..

قال 'بارنيت' :

- لقد أنستني المفاجأة أن اهتلك .

- لماذا ؟

- عندما كنا نتنازع ، عقد (كيلمان) في مطار 'بورجيه' ، كان اسمك 'كاترين' الحمراء ، ولكن الظاهر أن الحظ ابتسم لك فجأة .. فأصبحت ابنة عم الكونت 'تيرل' .

وكانت الفتاة ترقص برشاقة ولباقة ، فدار بها 'بارنيت' في حومة الرقص وأخذ يبتعد بها شيئاً فشيئاً ، ليخرج بها من الميدان .
سالته الفتاة :

- وماذا جئت تفعل هنا ؟

فاجاب وهو يبتسم :

- جئت لأشرب مجاناً . وأرقب زوجة البقال وهي تحاول الصعود

إلى القمة . وانت ماذا جئت تفعلين ؟

- جئت لذات الغرض الذي جئت أنت من أجله .

وصممت لحظة ثم اردفت :

- هلم بنا إلى الحديقة ، لننتحدث .

ولاحظ بارنيت أن الفتاة تعرف غرف القصر وأروقته وجميع مسالكه .

قال :

- لاشك أنك جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن .

فأجابت في صراحة

- بالتأكيد . إنني أحب دائماً أن أعرف موضع قدمي . ومما لاشك

فيه أنك كذلك قد جئت لزيارة هذا القصر قبل الآن .

فأجاب بارنيت :

- بل الأمر على العكس ، هذه أولى زيارتي . أنا لا أعرض التفاحة

مرتين أبداً .

حتى ولو كانت التفاحة نساوي نصف مليون فرنك ؟

- حتى ولو كانت تساوي ضعف هذا المبلغ .

فأخرجت من صدرها علبة ذهبية ، وقدمت إليه لفافة ، ولكنه

ابتسم وهز رأسه وقال :

- إن لفافات التبغ التي تقدمينها لأصدقائك ليست من أجود الأنواع

يا عزيزتي . كاترين ، دعيني أقدم إليك لفافة من لفافاتي .

فهزت الفتاة كتفها وقالت :

- أصغ إلي ، دعنا نطرح أوراقنا على الطاولة ، وتكلم بصراحة

إنك دخلت الآن هذا القصر بقصد الاستيلاء على حاسة (كريزر) ..

ولا اكتمك إننا جئنا لهذه الغرض أيضاً ، وقد ذكرت أن هذه أول مرة

ترؤر فيها هذا القصر ، أما نحن فإننا نرددنا عليه مراراً وببرنا

خططنا أحسن تدبير . ومن المستحيل عليك أن تسبقنا إلى هذه المساة

كما سبقتنا إلى عقد (كيلمان) ، فلماذا لاتنسحب بلباقة .. وتثقف

بانظام ؟

فنظر إليها 'بارنيت' بإمعان .. وظهرت على وجهه علامات التفكير .

وظنت الفتاة أن الفرصة سانحة لإقناعه ، فمست ساعده بلطف .

وقالت بصوت كله إغراء :

- نعم .. لماذا لاتنسحب وتوفر على نفسك العناء والمخاطر !

فقال 'بارنيت'

- أنت تعلمين يا 'كاترين' أنك فتاة فاتنة ، فهل يسووك أن اطبع

قبلة على شفطيك ؟

فقالت الفتاة :

- إذا انسحبت من الميدان .. أعطيتك خمسة آلاف فرنك .

فقطب بارنيت حاجبيه وسأل

- هل عدد زملائك خمسون .. لكي يكون نصيبي من الغنيمة هذا

المبلغ التافه ؟

فقالت الفتاة :

- أستطيع أن أعدك بعشرة آلاف .. وأنا واثقة من أن شركائي

لايسحون لك بأكثر من هذا المبلغ .

فارسل 'بارنيت' من فمه سحابة من الدخان وأجاب :

- إذا عرضت علي ٤٠٠ الف فرنك فإنني لا أقبل .. إنني رجل لا

أشترى بالمال ولا أرضى بالانسحاب من ميدان العمل بأي ثمن أيتها

الغريرة الصغيرة .

وصمت لحظة ثم سأل :

- والآن .. ماذا في نيتكم أن تفعلوا بي ؟ هل تحطمون جمجمتي

كما أردتم أن تفعلوا في مطار (بورجيه) ؟

فلم تجب الفتاة بل أمسكت بساعده بقوة .. ونظرت في عينيه

وقالت في صراحة وبصوت هادئ :

- إنني لا أفكر في الإضرار بك .. ولكن يجب أن تعلم أنني أريد هذه

الماسة .. وأزديدها بإصرار وإلحاح .. وليس في وسعك أن تعلم كم أنا بحاجة إليها .. إنني طيلة حياتي لم أطلب قط معروفاً من إنسان .. لأنني أعلم أن الرجال الذين يحترفون مهنتنا هذه لا يصنعون معروفاً لامرأة إلا إذا تقاضوا ثمن هذا المعروف .. ولكني أعلم الشيء الكثير عنك .. وأعلم أنك تختلف عن سائر الرجال

فغمغم 'بارنيت' :

- هذه رواية تمثيلية جديدة يا كاترين . امض في حديثك . إنني في أشد الشوق إلى معرفة الخاتمة .
فسالته في حرارة وإخلاص
- هل تعتقد أنني أريد أن أهدك ؟ هل تظن أنني أمثل دوراً ؟
- أنا لا أعتقد شيئاً .. ولكنني أريد أن أعرف غرضك من هذا الاستعطاف الحار .

فقالت الفتاة بصوت حزين :

- إن من حلقك أن تظن بي الظنون .. من حلقك أن ترتاب في .. ولو كنت مكانك ما فعلت غير ذلك .. ولكن اصغ إلي .. سأحدث إليك في صدق وصراحة ..

هل تعرف قيمة هذه الماسة بالنسبة إلي ؟ إنني أريد الاستيلاء عليها لأطلق هذه الحياة القذرة التي أحيهاها بين اللصوص والأشقياء والمحتالين . ستكون هذه الماسة آخر صفقة أسعى إليها . ومن ثم أعيش هادئة وادعة .. عيشة المرأة الغاضلة والزوجة الشريفة ..

ثم أشاحت بوجهها واستطردت بصوت خافت :

- إن في نيتي أن أتزوج .

فنظر إليها بارتياح وارتسمت على شفثيه ابتسامة تهكم وسخرية وامسك نفسه في الوقت المناسب عن أن يسألها عن رأي 'أزواجها'

العديدين في مشروعها الجديد غير أنه في الواقع لم يكن يعرف الكثير من دقائق حياتها الخاصة .

أراد أن يتكلم . ولكنه سمع في هذه اللحظة وقع أقدام قريبة . فنظر كل منهما إلى الآخر . ثم أرفقا السمع .

كان هناك رجلان يسيران بين أشجار الحديقة . وقد سمع 'بارنيت' أحدهما يقول :

- اعتقد أن هذه الخطة أفضل بكثير من سابقتها .

وهنا بدرت من 'كاترين' حركة كأنها تهتم بالابتعاد إلى حيث كان الرجلان . فاحاطها 'بارنيت' بساعده بأسرع من لمح البصر وأرغمها على البقاء . ووضع يده على فمها ليمنعها من الكلام . لم يكن ثمة شك في أن الرجلين كانا من شركائها .

أرهمف أذنيه . وسمع الرجل الثاني يقول :

- نعم . اعتقد أن هذه الخطة ستوفر علينا كثيراً من المتاعب والمخاطر .

ورأى 'بارنيت' عود ثقاب بيضاء . وأدرك أن أحد الرجلين يشعل لمفافة تبغ

قال الرجل الأول :

- ولكن ماذا في نيتك أن تصنع بالفتاة ؟

فأجاب الثاني :

- لا أعلم . إنها فتاة نشيطة . ورشيقة . مخلصه .. ولا عيب فيها إلا أنها بدأت تنظر إلى الزواج نظرة جدية .. وتصرف على وجوب الاقتران بي بأسرع ما يمكن . والرحيل معي بعد ذلك إلى لندن .

- وماذا اعتزمت أن تفعل ؟

- إذا وفقنا الليلة .. فإنني أرحل معها إلى لندن غداً .. ولا يصعب علي أن أتخلص منها هناك .

- مهما يكن من امر فقد تاكدت أنت الآن من أنني لم أكن أرمي إلى خداعك قال

- يجب أن تحمدي الظروف التي مكنتك من الوقوف على نيات الرجل الذي كنت تعقدين عليه كل امالك في الحياة .

فاجابت بصوت أجش :

- نعم ..

- وهل يهكم الآن أن يسبقني شركاؤك إلى الماسة ؟

فاجابت وهي تصرف باسنانها غيظا وحنقا :

- كلا .. يجب أن نفسد تدبيرهم .

- هلمي بنا إذن

ووصلا إلى صالة الرقص في الوقت المناسب للاشتراك في أحد اشواط الرقص قال 'بارنيت' وهو يدور بالفتاة بين الراقصين:

- يجب الا نبتعد كثيرا عن مدام 'تيلار' ، إن الأنوار الكهربائية ستطفأ في أية لحظة .. أين الرجلان اللذان سمعناهما يتحدثان في الحديقة ؟ اليسا هما ذلك الشاب الاسمر الأنيق الذي يتحدث إلى مدام 'تيلار' ، والرجل الأشيب الواقف بالقرب منهما ؟

لم يكذ 'بارنيت' ينطق بالكلمة الاخيرة حتى انطلقت جميع الأنوار الكهربائية فجأة .. فساد صمت مطلق استمر لحظة قصيرة ثم ارتفعت ضوضاء الكلام والضحك وفجأة .. دوى صوت مدام 'تيلار' وهي تصرخ ..

- النجدة .. النجدة ..

فساد الصمت مرة أخرى ، وعادت مدام 'تيلار' إلى الصراخ :

- عقدي .. عقدي .. اضينوا الأنوار .

وسمع المدعوون في هذه اللحظة أنة مزعجة ، اعقبها صوت سقوط

- إذا فعلت ذلك فإنها تضعن عليك . وقد لا تتردد في الوشاية بنا .

- لا اعتقد انها تشي بنا .. وبعد .. فإن في نيتي أن أراوغها ،

وأتملص منها شيئا فشيئا .. حتى إذا هجرتها لم تشعر بوطاة

القطيعة .. والذنب ليس ذنبي ، بل ذنبها لانها تصر على الزواج

إصرار فتاة الدير التي تقع في اول احبولة تنصب لها .

- ونصيبها من الصلقة ؟

- سوف اسكتها ببضعة الاف من الفرنكات .. إنها فتاة طيبة القلب

كما قلت لك

وساد بين الرجلين صمت قصير ، ثم قال ثانيهما :

- مهما يكن من أمر فهذه مسألة شخصية تتعلق بك وبها . إن

الساعة الآن الحادية عشرة .. يجب أن اسرع إلى مقابلة (ريمون) لاتفق

معه على موعد إطفاء الأنوار الكهربائية .

ومضى الرجلان في سبيلهما ، ولزم 'بارنيت' الصمت والسكون

حتى نلاشى صوت وقع اقدامهما ، ومن ثم ترك الفتاة .

كانت الفتاة شاحبة اللون لاهثة الأنفاس ، وقد رأى 'بارنيت' دمعة

كبيرة تتدرج على خدها .. فهم كل شيء ، واشعل لفاقة تبغ .

سالته :

- هل سمعت ؟

فاجاب :

- لم يكن هناك مناص من أن اسمع .. إنني اسف لك يا فتاة .. هذان

الرجلان من شركائك ، واحدهما هو الذي كنت تزعمين الاقتران به .

فقالت بصوت متهدج :

- نعم ..

ثم استطردت :

إلهي . لن أرى ماستي بعد الآن .

فاجاب 'بيشو' :

- إن أسفي شديد يا سيدتي .. لقد غادرت القاعة لاتناول فندحا من الماء ولكن كوني مطمئنة ، فالسارق بين أيدينا .

قال ذلك ووضع يده على كتف 'بارنيت' وقال له :

- اسمح لي بأن أفتشك ..

فنظر إليه 'بارنيت' شزراً وقال :

- إذا تركت هذين الرجلين يا مسيو 'بيشو' ، فإنك تتورط في خطأ سوف تندم عليه .. لقد كنت في الحديقة منذ بضع دقائق وسمعت

هذين الرجلين يتحدثان عن إطفاء النور .

فحققه الرجل الأشيب وقال :

- هذه قحة لم أسمع بعلتها في حياتي .. فتشبه يا مسيو 'بيشو' ..

أنا واثق أن الماسة معه . وأنه يريد فقط أن يصرف الأذهان ويحول
الإنظار عنه .

وهنا تقدمت كاترين من بين المدعويين . وقالت بصوت هادئ ثابت :

- كلا .. إن مسيو 'بارنيت' لم يذكر غير الحقيقة .. لقد كنت معه في

الحديقة وسمعنا هذين الرجلين يتحدثان عن إطفاء النور ..

فقال الرجل الأشيب بصوت يرتجف قليلا :

- هذه الفتاة تهذي ، فانا لم أذهب قط إلى الحديقة .

وكان الشاب الأسمر قد أفاق من غشيبته ، وسمع طرفا من الحديث

فنهض واقفا وقال :

- هذا صحيح ، إن أحدا منا لم يذهب إلى الحديقة هذا المساء .

ووقف 'بيشو' حائراً لا يدري ماذا يجب أن يفعل .

قال أخيراً موجها كلامه إلى مدام 'تيلار' :

- هانت ترين يا سيدتي أن هؤلاء السادة يتهمون بعضهم البعض

جسم وأشعل عود ثقاب ، ثم عود آخر ، فالثالث ، فإربع .

ثم أضيئت الأنوار الكهربائية فجأة كما أطفئت ، واتجهت جميع
الإنظار في الحال إلى حيث كانت مدام 'تيلار' ، ورأى القوم أمامهم
منظرا عجيبا ..

وأوا شابا أنيقا ملقى على الأرض وبالقرب منه رجل آخر شيب .

وأوا 'بارنيت' واقفا ويده فوق فكه كمن تلقى لكمة شديدة .

وكان عقد مدام 'تيلار' ملقى على الأرض بين هؤلاء الرجال الثلاثة ..
فانحنيت صاحبة الدار والثقلت العقد بسرعة ، ولكنها ما لبثت أن
صرخت :

- ماستي ماستي ماستي لقد سرقوا ماستي .

وهنا شوهد 'بيشو' وهو يشق طريقه بين المدعويين ، إلى أن وصل

إلى حيث كان 'بارنيت' ، فالتقى بيده على كتفه وصاح :

- ما هذا ؟ . ماذا حدث ؟

فاشار 'بارنيت' إلى الشاب الملقى على الأرض .. وأجاب :

- هو ذا الرجل الذي يجب أن تلقي القبض عليه .. فإن الأنوار ما

كادت تطفأ حتى ..

فقاطعه الرجل الأشيب . بأن صاح :

- أنت كاذب ..

ثم تحول إلى 'بيشو' وقال :

- لقد كنت واقفا بالقرب من مدام 'تيلار' عندما أطفئت الأنوار

فهبج عليها هذا الرجل (وأشار إلى 'بارنيت') وانتزع عقدها وحاول

صديقي هذا (وأشار إلى الشاب الملقى على الأرض) أن يمنعه ..

فصاحت مدام 'تيلار' وهي تهز 'بيشو' بعنف :

- أين كنت يا مسيو 'بيشو' .. لماذا لم تقم بمهمة المراقبة .. اه .. يا

فهل ترتابين في احدهم بصفة خاصة ؟

فرفعت مدام 'تيلار' راسها بكبرياء واجابت :

- إنني لا استطيع أن اتهم ضيوفى بأنهم لصوص ياسيدي ، كان يجب عليك أن تقوم بواجبك .. أنت تعرف من ذا الذي هددنا بسرقة الماسة ؟

ففكر 'بيشو' مليا . ثم قال :

- إن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن يسمح لي هؤلاء السادة بتفتيشهم فابتسم 'بارنيت' واجاب :

- هذا رأي صواب

وتبادل الرجلان نظرة حائرة . ولكنهما لزمنا الصمت .

قال 'بيشو' :

- أرجو مرافقتي إلى غرفة أخرى .

فدار 'بارنيت' على عقبه ، وتاهب للسير في أثر 'بيشو' .

وعندئذ التقت عيناه بعيني 'كاترين' فاقترب منها وقال :

- إنك فتاة باسلة .

وقد لاحظت 'كاترين' أن صوته متغير .

ولم يحفل 'بارنيت' بالأنظار المتجهة إليه ووضع يده على كتف

الفتاة وقبل شفيتها قبلة فاضحة ، خدشت شعور الطبقة

الارستقراطية التي تسعى مدام 'تيلار' للانتساب إليها .

كان 'بارنيت' جالسا في مكتبه في اليوم التالي حين دخل عليه

'بيشو' .

وكان مفتش البوليس مقطب الجبين تبدو على وجهه علامات

التعب و التفكير .

فاستقبله 'بارنيت' بابتسامته الساخرة المألوفة .. وقال له مؤنبا :

- دعني اعتب عليك يا صديقي 'بيشو' أنك تسرعت في اتهامي بلا مبرر.. وثق أنه لولا الصداقة التي تجمع بيننا لما ترددت في مطالبتك بتعويض عما لحقتني من إهانة بسبب تصرفاتك التي تتعالى مع المنطق .

فساله 'بيشو' في هدوء :

- أين الماسة ؟

فانفجر 'بارنيت' ضاحكا و اجاب :

- إنك القيت علي هذا السؤال أمس .. ألم يندرك 'لوين' بعزمه على سرقتها ؟!

فتهاك 'بيشو' على أحد المقاعد وقال :

- اصغ إلي يا 'بارنيت' .. إن كل شيء قد انتهى الآن .. فأين الماسة ؟

إنها اختفت من امامنا .. وأنا واثق أنك تعرف كيف اختفت .

- ألم تفتش ثيابي ؟

- عندما كنا في القاعة الكبرى كان صوتك عجيبا متغيرا . وأنا

واثق ان الماسة كانت في فمك وقتئذ .

- ولكنك طلبت إلي أن أفتح فمي .. فنزلت على إرادتك .. ولم تجد

في فمي شيئا .

فهز 'بيشو' راسه في حيرة . واجاب :

- هذا صحيح .. ولكنها كانت في فمك قبل ذلك .. اه .. يا إلهي .

كيف فاتني ان ..

وضرب جبهته بيده .. فهتف 'بارنيت' :

- ماذا فاتك ؟!

فنظر إليه 'بيشو' بغيظ وحنق .. واجاب :

- فاتني ان أفتش فم الفتاة بعد أن قبلتها .

فضحك 'بارنيت' حتى استلقى على قفاه .

الأخوان

في التاريخ ، بل في حوادث كل يوم ، أمثلة عدة من الكراهية التي قد تقوم بين الأخوين الشقيقين مقام المحبة والوفاق . بيد أن القصة التي سمعها بارنيت عن الشقيقين "فرون" و "جول كينسال" كانت فريدة من نوعها وطرافتها

قال له مسيو "بنويك" مسجل العقود :

- إنك لن تجد أخوين يبغض كل منهما الآخر كما يبغض جول أخاه "فرون" وبالعكس .. وهذا البغض بين الأخوين لم يكن نتيجة حادث معين بل هو بغض غريزي تغلغل في صديريهما منذ الصغر . كان "جول" في الرابعة من عمره عندما لاحظ أن شقيقه "فرون" - وكان وقتئذ في الشهر الثاني من عمره - يستأثر بمحبة والديه ، فضربه ذات يوم بلعبة في يده ضربة شلت شفته . ولما كان "فرون" في السابعة من عمره لاحظ أنه إذا ظل مستيقظاً حتى ينام شقيقه "جول" - وهو وقتئذ في الحادية عشرة من عمره - فإنه يستطيع أن يسطو على جيبه وهو آمن مطمئن ، ويجرده مما يحتفظ به من حلوى ونقود ولعب .

ولما بلغ "جول" العشرين من عمره وجد أنه يستطيع أن يقلد خط "فرون" - وكان وقتئذ في السادسة عشرة من عمره - تقليداً تاماً مكنه في أحد الأيام من أن يسحب من المبالغ التي أودعها "فرون" في صندوق التوفير مبلغاً جسيماً حار "فرون" في إدراك سر اختفائه .. وعندما بلغ "فرون" السابعة والعشرين من عمره .. ودعا أخاه "جول" لقضاء عطلة الأسبوعية في منزله .. فلبى "جول" الدعوة ..

وتسلل تحت جنح الظلام إلى مكتب شقيقه . وعبث بأوراقه ..
واكتشف سر صفقة رابحة كان 'فرون' يتأهب لإبرامها فسبقه إليها ..
ولما بلغ 'جول' الخامسة والثلاثين من عمره دعا أخاه 'فرون'
لتناول طعام الغداء عنده . فلبى الدعوة . ولكنه انتهز الفرصة وأغرى
سكرتير شقيقه بالمال حتى علم منه حكاية منجم للفحم في جنوب
إفريقيا كان 'جول' يتفاوض للحصول على امتياز استغلاله . فأسرع
'فرون' وحصل على هذا الامتياز .

قال مسيو 'بنويك' مسجل العقود

- وهكذا ظلت العداوة سجالات بين الأخوين الشقيقين حتى حار
ابوهما في أمرهما .

وابوهما هو مسيو 'هنري كينسال' الذي جمع ثروة طائلة من
المضاربات في البورصة .. وقد اتصل بي أخيراً وأخبرني أنه يعيش
في إسبانيا .

وقد كنت مسجلاً للعقود لهذا الرجل قبل أن يشطب اسمي من
جدول المسجلين .

ولاتزال عندي وصيته الأخيرة .. ولست أحدثك عن المتاعب التي
عانيتها مع هذا الرجل ..

ذلك انه كتب وصيته أولاً .. وأوصى بان توزع ثروته على ولديه
بالتساوي .

ثم عاد فمزق هذه الوصية . وكتب وصية أخرى ترك بمقتضاها كل
أمواله لولده 'فرون' .

ومزق هذه الوصية أيضاً وترك كل ثروته لولده 'جول'

ثم مزق هذه الوصية الثالثة وكتب غيرها ..

والواقع أن الرجل ظل حائراً لا يدري أي الشقيقين أسوأ من الآخر .

واذكر فيما أذكر أن ..

ومضى مسيو 'بنويك' في سرد ذكرياته ..
ومسيو 'بنويك' إذا بدأ الكلام وهو ثمل .. ملك ناصية الموقف ..
وجعل من المستحيل على السامع إلا أن ينسى أن له لساناً .. وأن له
صوتاً لما عليه إلا أن يسمع وكفى

كان الإسراف في تناول الشراب نقطة سوداء في حياة مسيو
'بنويك'

وكانت المشروبات هي علة المصائب والويلات التي حلت به .
فبسببها فقد عملاه جميعاً وبسببها شطب اسمه من جدول مسجلي
العقود .

ومتى شطب اسم المسجل من جدول مسجلي العقود .. وكان سكيراً
عريداً .. أصبح مخلوقاً خطراً .. لانه لا يقوى عندئذ على كتمان
الأسرار التي انتمنه عليها عملاؤه ..

وهي حقيقة أدركها 'بارنيت' .. الذي تعلم بالتجربة أن التغلغل
في أسرار الناس والتوسع في معرفة الحقائق والمعلومات يقيد
ولا يضر .

أصغى 'بارنيت' إلى حديث مسيو 'بنويك' وقدم إليه كأساً وثانية .
وثالثة .. وسابعة ثم افترق الاثنان . ونسي 'بارنيت' أو تناسى ما
سمع عن الأخوين 'فرون' و 'جول كينسال' ..

وفي احد الأيام قرأ 'بارنيت' في الصحف أن مسيو 'هنري كينسال'
المليونير المعروف توفي في مدريد بالسكتة القلبية .

وبعد يومين . قرأ في نبا آخر أن ثروة مسيو كينسال تقدر

بسبعة ملايين من الفرنكات . وان هذه الثروة ستوزع بالتساوي بين
ولديه وفقا لوصية كتبها المتوفي سنة ١٩٢٧ وادعها عند مسجل
للعقود يدعى 'جاك موران' .

ووجد 'بارنيت' ان لا سبيل للاستفادة من معلوماته عن الشقيقين
'جول' ، 'فرنون' فطوى الجريدة ، ورفع كأس الشراب إلى فمه
وعندئذ رأى مسيو 'بنويك' مقبلا عليه وهو يترنح فتوجه إليه
قائلا :

- هالو ، 'بنويك' في أية جنازة كنت ؟

فاجاب 'بنويك' بلسان متلعثم :

- ابشر يا ولدي العزيز . إنهم سيعيدون اسمي إلى قائمة
المسجلين . فهنتني ..

فابتسم 'بارنيت' وقال :

- هذا بديع ، من اين علمت هذا النبا السار ؟

فاجاب 'بنويك' :

- يجب ان يعيدوا اسمي إلى قائمة المسجلين العاملين . لأنني
المسجل الوحيد الذي عنده آخر وصية كتبها 'هنري كينسال' هل قرأت
صحف المساء ؟ لقد ذكرت هذه الصحف ان ملايين 'كيسل' ستوزع
مناصفة بين ولديه وفقا لوصية اودعها عند أحد مسجلي العقود في
سنة ١٩٢٧ . وهذا كلام فارغ . فهذه الوصية قد الغتها وصية أخرى
اودعها عندي 'كينسال' في سنة ١٩٣٢ . لا بد إذن ان يعيدوا اسمي
إلى قائمة المسجلين .

إنهم لا يستطيعون إغفال مسجل مثلي يودع أصحاب الملايين
وصاياهم عنده .

فقطب 'بارنيت' حاجبيه . واجال الطرف حوله في جوانب الحانة .
ولكن من حسن الحظ أن الحانة كانت خالية من الناس

قال بصوت خافت

- ماذا كنت تقول ؟

فاجاب 'بنويك' بصوت لا يكاد يفهم :

- كنت أقول إن الوصية التي عندي هي آخر وصايا 'هنري
كينسال' . وهي تلغي وصاياها السابقة . وما كنت أقرأ النبا الذي
نشرته الصحف حتى بحثت عن الوصية ووجدتها . وكان في نيتي ان
أذهب بها إلى اولي الشأن . ولكنني آثرت أن أروي ظمئي أولا . هل لك
في كأس على حسابي ؟

وقلب جيوبه باحثا عن نقود ، ولكنه لم يجد غير بضعة سنتيمات .
هتف بصوت حزين ...

- لقد ذهبت نقودي . لقد ذهبت نقودي كلها . أقرضني مائة فرنك
يا رجل لكي أدفع الحساب .

فقدم إليه 'بارنيت' كأسا . وانتظر حتى ازردها ثم قال له ببطء :

- هل معك هذه الوصية الآن يا مسيو 'بنويك' ؟

- بالتأكيد . لقد قلت لك إنه كان في نيتي ان أذهب بها إلى اولي
الشأن .

- اصغ إلي يا مسيو 'بنويك' هل تبينني هذه الوصية ؟

ففتح 'بنويك' عينيه بصعوبة وغمغم :

- أبيعك الوصية ؟؟ هذا مستحيل . هذا مخالف لشرف المهنة . إن
الوصايا لاتباع . أقرضني مائة فرنك .

- ماذا تفعل لو حصلت على مائة فرنك يا مسيو 'بنويك' ؟

فازرد 'بنويك' لعابه . وقال وعيناه تلمعان :

- ماذا أفعل ؟ أبتاع بها الشراب .. أبتاع بها مئات من براميل
الشراب . واغتسل كل يوم بالشراب .

- سأعطيك مائة ألف فرنك ثمنا لهذه الوصية يا مسيو 'بنويك' ..

واعطيك هذا المبلغ نقداً .. وفوراً .. واعدك بالا افعل بالوصية ما يتعارض مع شرف المهنة . فلا امزقها .. ولا احدث فيها تغييراً او تبديلاً .. إنني لا اريد الاستيلاء عليها .. بل اريد فقط ان تعبرني اياها يوماً او يومين .

* * *

في صباح اليوم التالي .. قصدت "كاترين" (الحمراء) إلى مكتب "فرنون كينسال" وطلبت مقابلته .
وأوشك "فرنون" أن يرفض مقابلة فتاة لا يعرفها .. ولكنه تريت قليلاً وسأل سكرتيره :

- ماشكل هذه الفتاة ؟ ألم ترها قبل الآن ؟

- نعم لم أرها .. بيد أنها على جانب عظيم من الجمال والرشاقة - إذن دعها تدخل

ودخلت "كاترين" وهي تنهادى في مشيتها - وحيث "فرنون" بابتسامة ساحرة .. قال الرجل وهو يصفحها باحترام :
- اهلا بك وسهلا يا أنسة .. اظن أننا لم ..
فقاطعته ببرود :

- نعم .. إننا لم نتقابل قبل الآن .. إنني سكرتيرة أخيك "جول كينسال" . او على الاصح .. إنني كنت سكرتيرته .

فقطب "فرنون" حاجبيه وسأل :

- هل هو الذي بعث بك إلي ؟

فضحكت "كاترين" ساخرة وقالت :

- هل هو الذي بعث بي إليك ؟ إنه قد يفكر في قتلي إذا علم انني جلست لمقابلتك ، فسأل "فرنون" في حذر :

- لماذا ؟

فجلست على مكتبه جلسة خليعة .. وتناولت لفاقة تبغ من علبة

كانت على المكتب . واجابت وهي تحرك قدمها الصغيرة :

- اصغ إلي .. إنني جئت من تلقاء نفسي .. للحصول على اعظم فائدة استطيع الفوز بها . إن اخاك طردني من خدمته لهفوة بسيطة .. ليسرني إذن ان ارى شخصاً يقهره ويكبته ويلحق به الاذى .

وانا اعلم مما سمعته منه مراراً أن العلاقة بينكما ليست على مايرام . وان الكراهة بينكما متبادلة .. وفي اعتقادي انني أستطيع أن اضع بين يديك سلاحاً تطعن به اخاك طعنة نجلاء .. ولكن بشرط أن تدفع لي الثمن .

فقطب "فرنون" حاجبيه ، وأخذ ينقر باصابعه على المكتب .

إنه اهتم بالفتاة اولاً .. لأنها من نوع الفتيات الخليعات اللاتي يعمل إلى عشرتهن ولكن اهتمامه بها تضاعف عندما علم أنها تملك سلاحاً يستطيع أن يطعن به اخاه طعنة نجلاء .

قال :

- يسوءني انك اضعفت وظيفتك آيتها الفتاة العزيزة . ولكن ما هي الغلطة الصغيرة التي وقعت فيها وأدت إلى ضياع وظيفتك ؟

فاجابت "كاترين" :

هذه الغلطة لا تتعدى انني فتحت إحدى رسائل مسيو "جول" .. إنني افض جميع رسائله بصفتي سكرتيرته . بيد أن هذه الرسالة بالذات كان مكتوباً عليها أنها خاصة وسرية . ولم افض هذه الرسالة عمداً .. ولكن تصادف انني ذهبت إلى عملي متأخرة فاخذت في افض الرسائل بسرعة . وكان من بينها هذه الرسالة . ولم الاحظ كلمتي خاصة وسرية .

ودخل مسيو "جول" فوجدني أقرأ تلك الرسالة ، فغضب وسب وشتم . وطردني في الحال حدث ذلك امس فقط وكنت ...

فقاطعها "فرنون" :

- وماذا قرأت في تلك الرسالة ؟

فاجابت :

- كانت الرسالة تدور حول وصية ابيك .

وهنا اعتدل 'فرنون' في مقعده واستطردت الفتاة :

- وقد وردت إليه هذه الرسالة من رجل سبق أن جاء لمقابلته في

المكتب مرة أو مرتين .

وقد اصغيت خلسة إلى الحديث الذي دار بينهما . وفهمت من هذا

الحديث أن الوصية التي تكلمت عنها الصحف أخيراً ليست آخر

وصية كتبها أبوك . وأن الوصية الأخيرة التي تلغي الوصايا السابقة

كانت في حيازة ذلك الرجل . وهو مسجل عقود

وفهمت من الحديث كذلك أن أخاك 'جول' يحاول ابتياع هذه

الوصية من المسجل باي ثمن .

وكانت الرسالة التي فضضتها عفواً وطردت بسببها واردة من هذا

المسجل . وفيها يقول لأخيك إنه على استعداد لقبول نصف مليون

فرنك ثمناً للوصية التي في حيازته .

* * *

سمع 'فرنون' هذا الكلام وبقي جامداً في مكانه لحظة .

لاشك إذن أن آخر وصية كتبها أبوه كانت في مصلحته . دوون

أخيه . ولولا ذلك ما فكر 'جول' في أن يدفع هذا المبلغ الباهظ لها . لكي

يخفيها أو يبيدها .

* * *

لزم الرجل الصمت لحظة . ثم انفجر صارخاً

- ويل للخنزير القذر .

- وفكر مرة أخرى .

إن 'جول' لا يمكن أن يدفع مثل هذا المبلغ الباهظ ثمناً للوصية إلا إذا

كانت تصوص الوصية تحرمه من مبلغ أعظم من هذا بكثير .

سال بصوت أجش :

- وما اسم مسجل العقود ؟

فابتسمت 'كاترين' واجابت :

- كنت أعلم أنك ستلقي علي هذا السؤال . إنني أعرف اسم هذا

المسجل . وعنوانه . ولكن هذه المعلومات لها ثمن .

فنظر 'فرنون' إلى ساعته . ثم سال :

- كم تريد ثمناً لهذه المعلومات ؟ إذا طلبت مبلغاً معقولاً فإنني

أدفعه .

فأرسلت 'كاترين' من فمها سحابة من الدخان . ونظرت إلى 'فرنون'

طويلاً .. ثم قالت :

- أريد عشرة آلاف فرنك ؟

فنظر إليها منزعاً . وفكر قليلاً . ثم وضع يده في جيبه وأخرج

عشرة أوراق مالية . ناولها للفتاة . ففحصتها ووضعها في حقيبتها .

ثم تناولت ورقة وقلم . وكتبت اسم مسجل العقود وعنوانه .

وقرأ 'فرنون' الاسم والعنوان . ودس الورقة في جيبه . واختطف

قبعته . وهتف وهو يهرول نحو الباب :

- عفواً . أرجو المعذرة . يجب أن أتخذ بعض الإجراءات . قابليني

في فرصة أخرى . إذا شئت .. إلى اللقاء .

ووثب في سيارته . وأمر السائق بالانطلاق إلى العنوان الذي كتبه

الفتاة .

وقد كان يخيل إليه أن السيارة رغم إسرعتها تسير ببطء السلحفاة .

فراح ينتقل من أحد جوانب المقعد إلى الجانب الآخر . ويضرب يده

اليسرى بقبضة يده اليمنى .

وأعصابه تكاد تتمزق لفرط الانفعال .

ووصل أخيراً إلى مكتب مسجل العقود . وقرع الجرس بشدة .

وانقضت دقيقة ولم يفتح الباب . فقرع الجرس مرة أخرى . وأخيراً

فتح الباب رجل طويل القامة ، يضع على عينيه نظارة سوداء .

سأله 'فرنون' :

- أين مسيو 'بنويك' ؟

فاجاب الرجل :

- تفضل بالدخول يا سيدي .

وذهب به إلى غرفة صغيرة في أحد أركانها مكتب بسيط . فاجاب

'فرنون' البصر في جوانب الغرفة ثم سال مرة أخرى :

- أين مسيو 'بنويك' ؟

فاجاب الرجل :

- هانذا !

فانفجر 'فرنون' صائحاً :

- أين الوصية ايها اللص ؟

فرفع 'بنويك' حاجبيه في دهشة وقال في ادب : اظن انه لم يسبق

لي شرف التعرف إلى ..

فصاح 'فرنون' : انا ادعى 'فرنون كينسال' . وقد جنث الآن في طلب

الوصية التي تريد بيعها إلى أخي القتر ، وإذا لم تعطني الوصية في

الحال فسابلغ الأمر إلى البوليس .

فجلس مسيو 'بنويك' المزعوم امام مكتبه بهدوء . واجاب في لطف :

- هل عندك دليل على وجود هذه الوصية يا مسيو .. يا مسيو

'فرنون' ؟

فانكمش 'فرنون' .. كما لو كان قد صب عليه إناء ملئ بالماء المثلج ..

خدمت حماسته ، وأدرك ان لا فائدة من التهويش ، لانه لا يملك

دليلاً على وجود تلك الوصية ثم قال :

فكم تطلب ثمناً لها ؟

فقلب 'بارنيت' او 'بنويك' شففته واجاب :

- اظن ان الوصية لم تعد معروضة للبيع ..

لقد بعث مسيو 'جول كينسال' إلى البنك تحويلاً مالياً باسمي ..

وانا لا انتظر إلا إخطار البنك بضم قيمة التحويل إلى حسابي

الخاص . ثم اضع الوصية بين يدي مسيو 'جول' .

فصاح 'فرنون' :

- هذا كلام فارغ .. ولكن مادام 'جول' لم يضع يده على الوصية

بعد فإنني على استعداد لأن اعطيك مثل المبلغ الذي اعطاك اياه . ولا

حاجة بك لأن ترد إليه نقوده ، لانه لا يجسر على الالتجاء إلى البوليس

والمحاكم والاعتراف بالاسباب التي حملته على إعطائك هذه النقود .

فهز 'بارنيت' راسه واجاب :

- لا اعتقد ان في استطاعتي إفساد الصفقة مع مسيو 'جول

كينسال' نظير مبلغ أقل من نصف مليون فرنك .

فصاح 'فرنون' : أنت لص محتال ..

فاجاب 'بارنيت' في هدوء :

- وانت كذلك .

- إذن فسادف إليك هذا المبلغ .

- بهذه المناسبة يجب ان اقول لك إنني أفضل ان يكون الدفع نقداً .

فانذهب إلى البنك واسحب هذا المبلغ من ودائعك وعد بأسرع ما يمكن

لأن مسيو 'جول' وعد بمقابلتي هنا بعد ساعة .. فإذا شئت ان تسبقه

إلى إبرام هذه الصفقة فإن ...

ولم ينتظر 'فرنون' حتى يتم 'بنويك' المزعوم حديثه .. بل اختطف

قبعته ووثب إلى الخارج بأسرع مما دخل ..

وابتسم 'بارنيت' وتناول السماعة :

- الو .. الو .. كاترين .. دعيني اهنتك ايتها العزيزة .. يظهر انك اتقنت دورك كل الإتقان .. كم اخذت من هذا المغفل 'فرنون'؟

- عشرة الاف فرنك . وهانذا اتاهب للخروج لإبتاع بها بعض الثياب والحلي .

ولم تكذ تنقضي بضع دقائق .. حتى سمع 'بارنيت' جرس الباب يبق ففتحه . وإذا القادم مسيو 'جول كينسال' .

كان 'جول كينسال' أطول من أخيه قليلا . وأثقل منه وزنا . وتدل مشيته وملامحه على أنه أكثر من أخيه رزانة .

سال :

- ماذا عندك من الإنباء يا مسيو 'بنويك' . هل اخطرك البنك بان المبلغ اضيف إلى حسابك ؟

فاجاب 'بارنيت' :

- كلا . لم اخطر بذلك بعد . ولكن صبراً . سأتحقق من ذلك تليفونيا .

وتناول 'بارنيت' السماعه . واتصل بإدارة البنك بينما جلس 'جول كينسال' جلسة المظمن . وهو يحمد الله على أن مسجل العقود اتصل به واتجاه بامر الوصية قبل أن يتصل بأخيه . وبذلك مكثه من سبق أخيه إلى الاستيلاء على هذه الوثيقة الثمينة . حتى إذا كانت في مصلحته اذاعها . وإذا كانت ضد مصلحته اعدمها .

ومرت بجسده رعدة حين فكر في أنه كان من المحتمل جداً أن يتصل مسجل العقود بأخيه قبل أن يتصل به .

قال 'بارنيت' وهو يضع السماعه :

- لقد اضيف مبلغ التحويل إلى حسابي الخاص ..

فتنفس 'جول كينسال' الصعداء بارتياح وقال :

- إذن لم يبق إلا أن تعطيني الوصية .

فقطب 'بارنيت' حاجبيه وقال :

- إن الموقف قد طرأ عليه بعض التغيير يا مسيو 'جول' ففر لون 'جول كينسال' وهتف :

- ماذا تعني ؟ كيف طرأ على الموقف بعض التغيير ؟ لقد اعطيتك المبلغ الذي طلبته . فهل تحاول ..

لقاطعه 'بارنيت' : لقد جاء أخوك لمقابلتي ..

وهنا اسودت الدنيا في عيني 'جول' وصرخ : أيها المحتال القذر هل ..

- صبراً لحظة .. ماهو أخوك قادم .

والمواقع أن جرس الباب دق في تلك اللحظة فتهض 'بارنيت' وفتح الباب ..

قال له 'فرنون' وهو يلهث من تأثير التعب :

- هو ذا المبلغ الذي طلبته يا مسيو 'بنويك' واخرج من جيبه غلafa مكتظا بأوراق النقد . ووضع بين يدي 'بنويك' المزعوم وهو يقول :

- أعنقد انني لم ابطنى . اليس كذلك ؟ والأن .. اعطني ..

وكانا قد وصلا في هذه اللحظة إلى غرفة المكتب . وابصر 'فرنون' أخاه 'جول' فاحتبس الكلام في حلقه .

وساد الصمت لحظة تراشق فيها الأخوان المخلصان بأبلغ نظرات الحقد والكراهية متف 'جول' بأخيه :

- أيها الكلب النحيل .

وصاح 'فرنون' :

- أيها الظفر السمين ..

وشعر الأخوان فجأة بأن بينهما شخصا ثالثا . وأن الفرصة ليست سائحة لتبادل عبارات المجاملة والمحبة . فحولا أنظارهما إلى 'بارنيت' . كأنهما ينتظران قراره .

وكانت الوصية مكتوبة بخط مسيو هنري كينسال موقعا عليها
بإمضائه ..

وعليها توقيعات الشهود .

* * *

وطوى بارنيت الوصية ، ووضعها في جيبه .

ونظر 'قرنون' إلى 'جول' ، ونظر 'جول' إلى 'قرنون' .

ولاول مرة في حياتهما ، اتفقت ميول الاخوين واراؤهما ، فتحولا

إلى بارنيت .

وصعداه من اخمص القدم إلى لمة الرأس .

ولكنهما لاحظا في الوقت المناسب انه رجل قوي العضلات . مغتول

الساعدين .

قال 'قرنون' محدثا 'بارنيت'

- مهما يكن المبلغ الذي عرضه عليك هذا المخلوق القتر فإنني على
استعداد لأن أتقنك ضعفه .

فصاح 'جول' :

- وأنا على استعداد لأن أدفع ثلاثة أضعاف المبلغ ، بل أربعة
أضعاف بل خمسة أضعاف ، ساعتك عشرين في المائة من مجموع
نصيبني من الميراث .

فصرخ 'قرنون' :

وأنا أعطيك ٢٥ في المائة . بل ٢٧ في المائة

فرفع 'بارنيت' يده لوقف هذا المزاد وقال :

- صبرا لحظة ، الا يحسن بكما قبل كل شيء أن تعلمنا مضمون

الوصية ؟

فصاح 'قرنون' :

- أنا أعلم مضمونها

وهتف 'جول' : وأنا كذلك . ساعتك ثلاثين في المائة من الميراث .

فابتسم 'بارنيت' . وأخرج من جيبه غللافا ضخما مختوما

بالبشمع الأحمر فرقع الأختام ، وقض الغلاف وهو يقول :

- يجب أن تعلمنا مضمون الوصية حتى لا يكون هناك سبيل

للاخذاع والأمل الكاذب .

قال ذلك وبسط الوصية أمامهما . فأسرعا لقراءة مضمونها

قرأ فيها مايلي : أنا الموقع على هذا 'هنري كينسال' . أوصي

بمقتضى هذه الوثيقة بأن تنفق جميع أموالني على المستشفيات

والجمعيات الخيرية تحت إشراف محافظ باريس ..

فذلك الفضل من أن يتفقهها وداي اللذان لايساويان قلامة ظفر

صور فنية

كان مسيو "جان هيلر" من أولئك الذين يعرفون طبائع النفس البشرية ويعلمون كيف يستثمرون هذه المعرفة ويحولونها إلى ذهب . وفي باريس كثيرون ممن يحترفون ذات المهنة التي يحترفها مسيو "جان هيلر" . ولكن الفارق بين "هيلر" وغيره أنه رجل يعرف كيف ينصب شبابه ، ويصطاد في الماء العكر . لذلك استطاع أن يجمع ثروة طائلة ، من مهنة يقنع الآخرون بربحها الضيئل .

ومهنة "جان هيلر" هي بيع الصور الباريسية الفنية . وهذه الصور الباريسية الفنية لم تصنع بالتأكيد لبيتاعها أهل باريس ، لأن في مقدور أهل باريس أن يلمسوا بأيديهم الأجسام العارية البديعة التي يعرض مسيو "جان هيلر" صورها للبيع . وإذن فالغالب أن هذه الصور الباريسية الفنية إنما صنعت لبيتاعها غير الباريسيين ، أو على الأصح لبيتاعها السائحون الأجانب، الذين تستهويهم شهرة باريس .. كبلد الملاهي .. والملاذات المستباحة .

وأدرك مسيو "جان هيلر" أن رواج تجارته يتوقف على الدعاية لها .. ولغت انظار السائحين إليها بواسطة الإعلانات الرنانة المغرية .. فلم تكن تصدر جريدة أو مجلة في فرنسا إلا وبها إعلان عن الصور الباريسية الفنية التي يبيعها ... وفعل أكثر من ذلك فراح يعلن في

ولكن من سوء حظها أنه غالى في إعلاناته مغالاة لفتت نظر 'بارنيت'
ولم يكن 'جان هيلر' بالرجل الذي يقنع ببضع فرنكات أو شلنات أو
دولارات ثمنا لطائفة من الصور يبعث بها إلى أحد الزبائن .. وإنما
كانت له طريقة أخرى للربح الوفير .. ليس أساسها الصور في ذاتها
.. وإنما أساسها الرسائل التي يبعث الزبائن بها إليه في طلب
الصور، وفراسته في قراءة ما بين سطور هذه الرسائل ، ومعرفة
المركز المالي والاجتماعي الذي يتمتع به صاحب الرسالة .

وفي أحد الأيام .. تسلم مسيو 'جان هيلر' رسالة باللغة الإنجليزية
من شخص يدعى 'جيمس بارنيت' . وراى في أعلى الورقة التي كتب
عليها 'جيمس بارنيت' اسم فندق (رويال بالاس) في مرسيليا ، ففرك
يديه سروراً وارتياحاً

كان يعلم أن فندق (رويال بالاس) هو الفخر فندق في مرسيليا ،
ولاينزل به إلا اصحاب الملايين وكواكب السينما .. فشرع يفحص خط
'بارنيت' وأسلوبه وعباراته بمطبع عليه من فراسة . واستنتج من ذلك
كله أن 'بارنيت' شاب إنجليزي أو أسترالي غني ، يطلب الحصول على
أكبر كمية ممكنة من الصور الفنية (الفاضحة) ، والكتب المبتذلة التي
يندى لها جبين الفضيلة

بعث إليه في الحال بالصور والكتب التي طلبها وأرفق الصور
والكتب برسالة رقيقة عبر فيها عن استعداده لإجابة كل طلب ، وعن
رجائه في أن يتكرم مستر 'جيمس بارنيت' المحترم بزيارة محله في
باريس .. إذا سمحت له ظروفه بالمرور بالعاصمة الفرنسية .

وقد وصلت الصور ومسيو 'هيلر' إلى مرسيليا في قطار واحد .

وحمل ساعي البريد حزمة الصور والكتب إلى مستر 'بارنيت' في
الجناح الفاخر الذي يقيم فيه بفندق (رويال بالاس) . أما مسيو 'جان
هيلر' . فإنه قصد إلى مشرب الفندق ، وشرع يجمع المعلومات عن
مستر 'بارنيت' .

وكانت لمسيو هيلر' أساليبه البارة في استقاء المعلومات فراح
يتجاذب مع خادم المشرب أطراف الحديث . ثم أفهمه أنه يهيمه -
لمسائل خاصة - أن يعرف المزيد من أمر مستر 'جيمس بارنيت' فذكر له
الخادم أن 'بارنيت' هذا هو الابن الأكبر لأحد اصحاب الملايين في
أستراليا وأنه قدم إلى فرنسا لإبرام بضعة عقود خاصة بتصدير
الصوف إلى مصانع النسيج الفرنسية .

وتقد 'هيلر' الخادم مبلغاً من المال . وطلب إليه أن يرشده إلى مستر
'بارنيت' فاجاب الخادم :

- إنه اعتاد الاختلاف على المشرب في مساء كل يوم .

فقال 'هيلر' : إذن أكون شاكرًا لك إذا أرشدتني إليه ، وساعدتني
على التعرف به

- وأي اسم أذكر له ياسيدي ؟

فكر 'هيلر' لحظة ثم اجاب :

- قل له إن اسمي 'أندريه موردان' و إنني من تجار المنسوجات
الصوفية في باريس .

وفي حوالي الساعة السادسة .. غادر 'بارنيت' الجناح الخاص به
في الفندق ، وهبط إلى المشرب .. فطلب كوباً من الشراب .. وإحدى
الصحف الإنجليزية .

وجاءه الخادم بما طلب .. ثم اتحنى فوقه باحترام وهمس في أذنه
بكلام .. فحول 'بارنيت' رأسه ، ونظر إلى الطاولة التي جلس عندها

هيلر .. فابتسم هذا وحياء .. وأسرع إليه .

قال 'بارنيت' بالإنجليزية :

- يسرني ان أعرفك يا مسيو (موردان) . نحن إثن زميلان في صناعة واحدة .

فضحك 'موردان' المزعوم وأجاب :

- نعم .. والفارق انكم تبيعون صوف الأغنام ، أما نحن فنبيع المنسوجات الصوفية وقدم 'بارنيت' إلى 'موردان' قدحا من الشراب . كان قد رأى الرجل قبل ان يفكر في التعامل معه .. فعرفه في الحال ، وادرك غرضه .. ومهد سبيل الوصول إلى هذا الغرض .

ودار الحديث بين الرجلين حول تجارة الصوف ، ورغبة 'موردان' في استيراد الصوف الخام لحسابه الخاص .. ثم انتقل الحديث بينهما على رثنين الكؤوس إلى الحياة في مرسيليا .. وفرنسا .. وباريس .. إلى الفنادق الفرنسية .. والنساء الفرنسيات .

ووجد 'موردان' ان ساعة العمل قد حانت فقال وهو يبتسم :

- اليس في نيتك ان تزور باريس ؟

فتنهذ 'بارنيت' متحسراً وقال :

- أه .. ليتني أستطيع .

فدهش 'موردان' أو تظاهر بالدهشة وهتف :

- ليتك تستطيع ؟ وما الذي يمنع ؟

فابتسم 'بارنيت' ابتسامة حزينة وقال بمرارة :

أه لو علم أبي انني ذهبت إلى باريس فإنه لا يتردد في طردي وحرمانني من ميراثه . إنه يعتقد ان باريس هي الباب الموصل إلى جهنم .. وهو يعلم ان برنامجي لا يتضمن زيارة هذه المدينة البديعة . وانني ساقضي في مرسيليا اسبوعاً فقط .. ثم أوصل رحلتي إلى

إنجلترا للتعاقد مع بعض مصانعيها .

وصمت مسر 'بارنيت' لحظة ثم استطرد :

- إن أبي رجل رجعي من الطراز الأول يا مسيو 'موردان' . وقد حدث منذ خمسة أعوام انه رأى شقيقي الأصغر يتحدث في الشارع مع إحدى الممثلات . فطرده من المنزل فوراً .. وحرمه من الميراث .. ولم أسمعها يذكر اسمه منذ ذلك العهد .

نعم .. إن أبي رجل قاسي القلب شديد التمسك بأهداب الفضيلة التي لم يعد لها وجود إلا في الرعوس الجوفاء .. الشبيهة برأسه . قال ذلك وازرد محتويات كأسه وملا الكأس من جديد .

أما 'موردان' فإنه هز رأسه وقال :

- هذا امر يؤسف له .. نعم .. من المحزن ان يبحر الإنسان من استراليا إلى أوروبا . ويقوم في مرسيليا ولايجسر على زيارة باريس والاستمتاع بنساء باريس وملاهي باريس .

فقال 'بارنيت' مردداً كلام محدثه :

- نعم . نساء باريس وملاهي باريس لقد وقع نظري على بعض صور فوتوغرافية تبين مبلغ عناية الباريسيات بإثارة أختبئ الغرائز في نفوس الرجال . ولكن مما لاشك فيه ان أصول هذه الصور أبداع بكثير من الصور ذاتها .

فتنهذ 'موردان' :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. وبهذه المناسبة لابد انك سمعت باسم 'جان هيلر' ! إنه اعظم تجار الصور الفوتوغرافية في باريس . وله عملاء في جميع انحاء الكرة الأرضية .

فقال 'بارنيت' في صراحة وبلهجة الثمل النشوان :

إن في نيتي العودة إلى باريس غداً . فإذا شئت فإننا نسافر معا .
ولم يكن "بارنيت" بحاجة إلى المزيد من الإغراء والاقتناع . فقد كان
الاقتناع والرضوخ للإغراء جزءاً من خطته .
ووصل الإثنين معا إلى باريس في اليوم التالي . وتناولوا طعام
الغداء في أحد المطاعم الفاخرة . وكان كل منهما ينفق في بذخ وبلا
حساب .

وفي المساء قصداً إلى محل "جان هيلر" .
وقد تبين لـ "بارنيت" في الحال أن "موردان" المزعوم كان معروفاً في
محل "هيلر" حق المعرفة . لأن أحد الموظفين رحب به واستقبله بكل
إكرام واحترام .

وقال الموظف إن مسيو "هيلر" سافر في الصباح إلى لندن بطريق
الجو لأمير يتعلق بأعماله . وافهمهما أنهما يستطيعان اعتبار المكان
ملكاً لهما .

وظاف "موردان" بـ "بارنيت" عدة غرف قد وضعت على جدرانها أبشع
مجموعة من الصور الباريسية . وكان "بارنيت" يقف أمام كل صورة
وهو مدهوش مشدود . ولا ينقل بصره عن صورة حتى تلغ عيناه على
صورة أبشع منها .

وانتقل "موردان" بصاحبه من قسم الصور الفوتوغرافية إلى عالم
الحقائق والمرئيات .

إلى الجناح الخاص الذي يرى فيه الناظر صاحبات تلك الصور .
وهن ، كما قال "موردان" من أبرز نساء المجتمع . ومن طالبات اللهو
(البريء) .

وعاد "بارنيت" إلى مرسيليا في صباح اليوم التالي وهو مقتنع

- سابوح لك بسر أيها الصديق العزيز لقد قرأت اسم "هيلر" هذا في
إحدى الصحف . فكتبت إليه اطلب مجموعة من الصور والكتب .
وجاءتني الصور اليوم منذ بضع ساعات . اه . وبها من صور .
ونظر إلى محدثه من طرف عينه نظرة ذات معنى . فضحك "موردان"
وهتف :

- يالك من مسكين ؟ هل أعجبتك الصور التي بعث بها إليك ؟ إذن
فاعلم أنه لا يرسل إلا أبسط أنواع الصور . أما الصور الباريسية
الفنية الصحيحة . فإنه يبيعها بدأ بيد . في محله بشارع (لافاييت) .
بل هو يفعل أكثر من ذلك .

وهنا انحنى "موردان" إلى الأمام . وقال في همس :

- إنه يقدم إلى الزائرين الأغنياء أصول هذه الصور .

ففتح "بارنيت" عينيه في دهشة وهتف :

- أصول هذه الصور ؟ تعني الفتيات والنساء اللاتي يبيع صورهن
الفوتوغرافية ؟

- نعم .

- ماذا تقول ؟

- ونظر "بارنيت" إلى محدثه كأنه لا يصدق أذنيه . فقال "موردان" :

- يجب أن تفكر في السفر إلى باريس . وزيارة الجناح الفاخر

الذي اتخذته "هيلر" مقراً له . إنه قبلة طلاب اللهو الصحيح من أهل

الطبقة الراقية . و"جان هيلر" من أصدقائي . ولست أجد مانعاً من

الذهاب معك إلى مقره . حاول أن تذهب . وكن مطمئناً . فمن المستحيل

أن يعلم أبوك أنك ذهبت إلى باريس .

فيما بينه وبين نفسه أن 'جان هيلر' هو القنر حيوان في باريس القذرة.

وكان الرجلان قد افترقا في باريس ، بعد أن عبر 'بارنيت' عن شكره لـ 'موردان' ، وأمله في أن يتمكن يوما ما من أن يرحب به في (أستراليا).

ولكن 'بارنيت' كان وثقا أن ذلك لن يكون آخر عهده بـ 'موردان' ، أو 'أعلى الأصح 'جان هيلر'. كان يعتقد أنه سيراد قبل انقضاء بضعة أيام ولكنه لم يكن يتوقع أن يراه في اليوم التالي بالذات . وإن فقد كان الشقي يريد التعجيل بالصفقة .

* * *

تظاهر 'بارنيت' بالدهشة الشديدة حين وقع بصره على 'موردان' في الجناح الخاص به في فندق (رويال بالاس) .. وأسرع إلى استقباله وهو يصيح :

- أهلا وسهلا بالضيف العزيز .. أية ربح طيبة عادت بك إلى مرسيليا وشد على يده بحرارة .. ولكن 'موردان' فضل أن يظل واقفا .. كان متجههم الوجه ، مقطب الجبين ، خلع قفازه في بطة وهدوء ، وقال بلهجة رجل الأعمال :

- اصغ إلي يا 'بارنيت' . إن هناك أمرا أرى أنه من الأفضل أن تعلمه بأسرع ما يمكن فقال 'بارنيت' وعلى شفثيه أعذب ابتسامة .

- تكلم يا عزيزي 'موردان' .. كلي أذان للإصغاء إليك .

فقال 'موردان' في هدوء :

إنني لم أتقدم إليك بصفتي الحقيقية ، فانا 'جان هيلر' فحملق 'بارنيت' في وجه محدثه ، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وهتف :

- يالك من مداعب ظريف يا 'جان' .. لقد توهمت حقا أنك من تجار المنسوجات الصوفية .. وإن فالحل الذي زرناه أمس الأول محلك ؟

- نعم :

فقهقه 'بارنيت' ضاحكا ببساطة وسذاجة .. وهم بإبداء رايه في تلك الدعابة الطريفة ولكن 'هيلر' قاطعه بقوله :

- إن وقتي ضيق يا عزيزي 'بارنيت' ولايسمح لي بسماع أرائك . فدعنا نتحدث في الشؤون العملية .. إن معي صورة فوتوغرافية لك التقلت في محلي أول أمس .

فنظر 'بارنيت' إلى محدثه في دهشة .. وحيرة من كلام صاحبه ولهجته وهتف :

- صورة فوتوغرافية لي ؟

فأخرج 'هيلر' من جيبه صورة فوتوغرافية قدمها إلى 'بارنيت' فتناولها هذا وحملق فيها ..

لم يكن هناك شك في أنها صورته الفوتوغرافية . وفي أن الصورة تمثله وهو ممسك بين يديه بغتاة حسناء رشيفة نصف عارية .

وعاد بذكرته إلى تلك الزيارة .. واستعرض كل ما حدث له في محل 'هيلر' بباريس .. وتذكر أن إحدى الفتيات اللاتي قابلهن هناك

صعدت فوق مقعد لتأتيه بصورة فوتوغرافية مثبتة على الجدار ، فاهتز المقعد تحتها وأوشكت أن تسقط .. فأسرع إليها لسندها بيديه ..

وإن فقد التقلت صورة في ذات اللحظة التي احتوى فيها الفتاة بين ساعديه ليمنعها من السقوط ؟

كانت حيلة 'جان هيلر' في غاية البراعة .

هتف 'بارنيت' :

- ولكن متى التقلت هذه الصورة ؟

فاجاب 'هيلر' ببرود :

- لا شك أنك تذكر ذلك .

- ولكن .. ولكن ...

وتظاهر 'بارنيت' بالتفكير . ثم هتف :

- لقد حدث ذلك قضاء و قدراً . ولم أكن أقصد إلى احتواء الفتاة بين ساعدي .

فاجاب 'هيلر' :

- اعلم ذلك . ولكن لا احد سوانا يعلم . وهذه الصورة إذا نشرت في صحف استراليا تحت عنوان (ابن احد اصحاب الملايين في باريس) فلاشك انها تحدث ضجة هائلة ..

فابتلع 'بارنيت' لعابه بصوت مسموع وغمغم :

- ولكن في استطاعتي ان اوضح الحقيقة .

- وهل يصدقك أبوك مهما أوضحت ؟ وهل تستطيع ان تبرر وجودك في باريس . وفي المكان الذي التقطت فيه هذه الصورة ؟ فكر في الموقف مليا يا 'بارنيت' .. إنني جئتك الآن لأعرض عليك شراء أصل هذه الصورة .. أعني الرزاجة السلبية التي يمكن استخدامها في طبع الاف من أمثال هذه الصورة ..

فصاح 'بارنيت' :

- ولكن هذه ... هذه جريمة .. جريمة احتيال وابتزاز .

- ولا يهمني ان تصف عملي بما شئت من اوصاف . أنت الآن أمام امر واقع والثمن الذي اطلبه لإخراجك من هذه الورطة هو مائة الف فرنك .

فقطب 'بارنيت' حاجبيه وهتف :

- خذ هذا الثمن .

ولكمه على حين غرة لكمة ألقت به بعيدا . ثم شمر عن ساعديه وصاح :

- قم وانهض . لتقبض باقي الثمن ايها المحتال الاثيم .

فبصق 'هيلر' سنا انكسرت من نالير اللكمة . واحمرت عيناه

غضبا .. ولكنه لم ينهض من مكانه .

قال بلهجة تنم عن الحنقة :

- هذه اللكمة قد رفعت الثمن إلى مائتي الف فرنك ..

إن هذا السلوك لايفيدك ايها الغر الاحمق .. ولن يضع يدك على

أصل الصورة بما لم تدفع الثمن .

فقال 'بارنيت' ببرود :

- بحسبي أنني أقيت عليك هذا الدرس .. ولو كان جسك القذر

يحتمل المزيد من اللكمات لكلتها لك بغير حساب .

وأصك بساعد 'هيلر' . ورفعته بيده كما يرفع طفلا وقذف به إلى

ركن آخر

ثم تهالك على أحد المقاعد وأخرج من جيبه دفتر التحويلات المالية . وفكر لحظة ثم كتب تحويلا ووقع عليه بإمضائه بعناية شديدة .

وعلى الرغم من أن 'هيلر' لم يحول بصره عن 'بارنيت' وهو يفعل

ذلك .. إلا أنه لم يلاحظ أنه قد كتب التحويل بيده اليسرى .

والقى 'بارنيت' بالتحويل في وجه 'هيلر' .. وصاح :

- إليك الثمن ايها الكلب . والآن .. أغرب عن وجهي .

فاختطف 'هيلر' التحويل ووضع قبعته على رأسه .. ولان بالفرار ...

وهو يتعمم بكلام غير مفهوم .

وتهمل 'هيلر' في أحد أروقة الفندق وأصلح من ثيابه ما تهدل

وبصق دما .

سوف يدفع 'بارنيت' ثمن هذه اللطمة غالبا .

إنه لم يحصل على أصل الصورة بعد . ومتى انقضى يوم أو

يومان فإنه - أي 'هيلر' - يستطيع ان يطلب مبلغا آخر من المال

ويكون الطلب في هذه المرة بواسطة التليفون . نعم . مادام أصل

الصورة عنده ففي إمكانه ان يعصر ضحيته . ويبتر منه ماشاء من

مال حتى يفلسه أو يدفعه إلى الانتحار ...

نظر إلى التحويل وقرا ما كتب عليه .

كان التحويل على فرع بنك فرنسا في مرسيليا ، والمبلغ يدفع

لحامله .

واقصد "هيلر" توا إلى البنك . وقدم التحويل . وانتظر .

انتظر نصف الساعة .. ثم ساعة .

واخيراً دعاه موظف الخزانة . وطلب إليه في أدب أن يتكرم بمقابلة

مدير البنك في مكتبه . لأن ودائع مستر "بارنيت" في البنك لا تكفي

لدفع قيمة التحويل .

ولشد ما كانت دهشة "هيلر" . عندما دخل غرفة مدير البنك ورأى

"بارنيت" جالسا هناك .

جمد الرجل في مكانه . واستولت عليه رغبة شديدة في أن يلوذ

بالفرار .

ولكنه عاد فادرك أن الفرار لايجدي . لأن البنك حافل بالحراس

والموظفين .

وادرك فضلا عن ذلك انه لا يوجد ثمة مايشواه . فالتحويل قد كتب

ووقع امامه . وإذا لم تكن ودائع "بارنيت" في البنك تكفي لدفع المبلغ

المطلوب فالذنب في ذلك يكون ذنب "بارنيت" . والقصاص يقع عليه

وحده .

قال مدير البنك :

- تفضل بالدخول يا مسيو "هيلر" هل انت الذي قدمت هذا

التحويل لصرفه والحصول على قيمته ؟

فاجاب بجرأة دون أن ينظر إلى "بارنيت" :

- نعم .

- إن التحويل لن يصرف . ليس لأن مستر "بارنيت" المحترم لايمك

من الودائع مافيه الكفاية . وإنما لأن مستر "بارنيت" اتصل بنا في

الوقت المناسب . وانبانا بان دفتر تحويلاته قد سرق منه . وطلب إلينا

أن نلقي القبض على أي شخص يقدم تحويلا باسمه .

فاجاب "هيلر" بصوت مرتفع -

- هذا عجيب . لاشك أن هناك خطأ . فمستر "بارنيت" قد كتب لي

هذا التحويل بخطه . ووقع عليه بإمضائه

فقال مدير البنك بصوت اجش :

- إنني اعرف خط مستر "بارنيت" وتوقيعه وهذا الخط ليس خطه

والتوقيع ليس توقيعه ..

فزأغ بصر "هيلر" . والتصق لسانه في حلقه

كان قد عمل حساب كل شيء إلا هذا .

وراقبه "بارنيت" بحدة . ثم ابتسم . وتحول إلى مدير البنك وقال :

- لاشك أن الخط والإمضاء مزوران . ولكنني اعرف هذا الرجل ولا

أريد أن أقسو عليه . ولذلك طلبت إليك تليفونيا أن تحجزه ولا تسلمه

إلى رجال البوليس .

إنه ينتهي إلى إحدى الأسر الكريمة . وقد حاول ذووه إصلاحه فلم

يجد فيه إصلاح . فدعني أجرب حظي معه . ساصحبه معي إلى

الغندق لأحصل منه على إقرار كتابي بالا يعود إلى مثل ما فعل . وإذا

رفض فإنني اعيده إليكم لتتخذوا معه ما ترون من الإجراءات .

وانصرف "بارنيت" و "هيلر" .

كان هذا الأخير كانه في حلم .

لم يحدث له قط أن وقع في مثل هذه الورطة . أو سقط في الشباك

التي اعتاد أن ينصبها لضحاياه .

اغلق "بارنيت" باب الغرفة . ونظر إلى هيلر في شماعة وسخرية

وقال :

- والآن ما تقول في هذا يا عزيزي 'موردان' ؟ .. إنك وقعت في ورطة ..
ولكنني على استعداد لإنقاذك .. بئمن ..

ففتح 'هيلر' فمه في ذهول . وهتف :

- ولكن هذه جريمة .. جريمة احتيال . وابتزاز .

فاجاب 'بارنيت' في هدوء :

- لك ان تصف عدلي بما شئت من اوصاف ، إنني أريد ٣٠٠ ألف

فرنك لكي انسى انك زورت توقيعي . فما قولك ؟

فصاح 'هيلر' :

- إنك لن تنال مني فرنكا واحداً ومنى نشرت صورتك

الفوتوغرافية في

فقاطعه 'بارنيت' :

- ليتك تتشرها لكي أضحك وأستغرق في الضحك . إن هناك

حقيقة من مصلحتك ان تعرفها ايها الاخ المحترم ، وهي أنني لم أر

استراليا قط ، وابي ليس مليونيراً او استراليا . وفي استطاعتك ان

تبعث بصورتني إلى جميع الصحف في جميع القارات فذلك لا يهمني .

والآن . اختر لنفسك ما يحلو : ثلثمائة الف فرنك . او السجن .

- ولكنني لا املك كل هذا المبلغ .

- إنني امهلك اسبوعا ، ولا يهمني ان تبيع ملكك القدر . وتعلن

إفلاسك . ويهمني بهذه المناسبة ان تعلم ان التزوير ليس التهمة

الوحيدة التي أستطيع توجيهها إليك . اصغ ..

وآدار 'بارنيت' حاكيا صغيراً (فوتوغرافيا) كان على طاولة قريبة .

فردد الحاكي العبارات التالية :

(دعنا نتحدث الآن في الشؤون العملية . إن معي صورة

فوتوغرافية لك التقطت في محلي اول امس) .

وهي ذات العبارات التي نطق بها 'هيلر' عندما جاء للمطالبة بئمن

الصورة . وكان 'بارنيت' قد أعد جهاز (الديكتافون) لالتقاط ما يدور في
الغرفة من حديث .

* * *

فر لون 'هيلر' عندما عرف صوته في العبارات التي ردها الحاكي .

قال 'بارنيت' :

- هذه الأسطوانة دليل مادي يثبت عليك محاولة ابتزاز المال

بالتزوير . وهي جريمة يعاقب عليها القانون كما يعاقب على جريمة

التزوير .

فأطرق 'هيلر' برأسه . ثم تعتم بصوت المذبوح :

- إذن ... إذن أرجو أن تمهلني اسبوعا .

* * *

ومن تحصيل الحاصل ان نذكر ان الرجل دفع المبلغ المطلوب قبل

انقضاء تلك المهلة .

'تمت بحمد الله'